الفصل الثالث

الحدسية الأخلاقية

الفصل الثالث

الحدسية الأخلاقية

أولاً: بدايات الميتا أخلاق

إذا كان الفصل الثانى من الكتاب يناقش الكيفية التى ظهر بها برتراند رسل كأحد المدافعين عن النفعية الأخلاقية، والتى جاءته بالفعل من خلال كتابات «جيرمى بنتام» و«جون ستيوارت مل»، حتى بدت رؤيته الأخلاقية نفعية الطابع مؤمنة بضرورة الأخذ بنتائج الأفعال الخلقية(*)، فإن هذا الفصل من الكتاب يناقش الصورة الثانية التى جاءت عليها النظرية الأخلاقية بوصفها نظرية مؤسسة على أسس ودعائم علمية، مناقشةٍ فيها خصائص المعرفة الحدسية، تلك النظرية المسماه بـ «الحدسية» Intuitionism والتى كان صاحب الفضل الأول فيها هو الفيلسوف التحليلى «جورج إدوارد مور(**)».

(*) يشير الكاتب إلى حقيقة مهمة وهى أن برتراند رسل أخفى فى فلسفته الأسباب التى جعلته يتحول عن نفعية «بنتام» و«مل» إلى تبنيه النظرية الحدسية كما آمن بها زميله وصديقه جورج إدووارد مور، فى حين أن رسل أشار إلى سبب واحد بعينه وهو ما أشرت إليه فى الفصل الأول، وهو أنه ترك النظرية النفعية لأسباب عائلية خاصة، ولكن لم يخبرنا رسل ما هى الأسباب العائلية أو الأسرية التى جعلته يترك فلسفة بنتام ومل، وقد أشار رسل بالفعل فى سيرته الذاتية إلى تبنيه للنفعية الأخلاقية كما كانت عند «بنتام» و«مل»، لذلك أردت هنا التنويه إلى كون النظرية الحدسية هى المرحلة الثانية من فكر رسل الأخلاقى، بينما النظرية النفعية هى النظرية الأولى لفلسفته الأخلاقية المبكرة.

(**) جورج إدوارد مور George Edward Moore فيلسوف إنجليزى معاصر، من مؤسسي ما يعرف بـ«الواقعية الجديدة» فى إنجلترا (الواقعية بالمعنى الأفلاطونى) ولد فى 4 نوفمبر 1873 فى إحدى ضواحى لندن من أسرة ميسورة الحال، وكان الإبن الثالث للدكتور (الطبيب) د. مورD. Moore. كما كان ثالث أختين له من البنات، وبعد ذلك رُزقت الأسرة ببنتين أخريتين، يعقبهما ولد، فكانت الأسرة الصغيرة+

إذا كان «رسل» استمد ملامح فكره الأخلاقى من «بنتام» و«مل» فى الطور الأول من حياته، و«جورج مور» فى النظرية الحدسية، فإن ذلك كله لا ينقص من قدر الفيلسوف شيئًا، بأن يقال عنه بأنه فيلسوف منطقي فقط، أو حتى فيلسوف من فلاسفة العلم أو اللغة، مما يقلل من دوره الأخلاقى فى الفكر الفلسفى، فإن الأخذ بهذه الوجهة من النظر يعد جحودًا لفكر فيلسوف عاش من أجل قلمه، والدليل على ذلك أن «رسل» حصل على درجة الأستاذية فى الرياضيات Mathematics عام 1893م، وقد مكث بعدها سنة أخرى حتى حصل على درجة الأستاذية فى العلوم الأخلاقية Moral Science وكان ذلك فى عام 1894م[1].

وعندما كان «بول إدوارد» بصدد مناقشة الرؤى المختلفة التى تبناها «رسل» فى

=عبارة عن أربعة ذكور، وأربع إناث. =وفى سن الثانية عشرة مرّ «جورج مور» بتجربة دينية عميقة إذ صار من الغلاة فى التدين، وفى الدعوة إلى المسيحية، وشعر بأن من واجبه الوعظ بكلام يسوع وتوزيع المنشورات الدينية. لكن هذه التجربة أتت بعكس المراد منها، إذ ملأت نفسه بالاشمئزاز وبعدم الرغبة فى =الاستمرار فى هذه التجربة. وربما كان فى هذه التجربة التى استمرت قرابة عامين ونصف العام أثرها فى فتور إيمانه الدينى فيما بعد. وتحت تأثير مناقشاته مع أخيه الشاعر توماس استيرج مور، اتخذ موقف اللاأدرية Agnosticism وكانت نزعة اللاأدرية - أى عدم الاكتراث بالدين بخاصة - قد انتشرت فى إنجلترا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتقوم على أساس أنه لا يوجد دليل قاطع على وجود الله، كما لا يوجد دليل حاسم على عدم وجوده.

وفى سنة 1892 دخل مور كلية الثالوث فى جامعة كيمبردج طالبًا يدرس الكلاسيكيات (الآداب اليونانية واللاتينية) لكنه فى بداية السنة الثالثة غير دراسته إلى الفلسفة، وأتم دراسة الأخلاق فى سنة 1896، وعلى أساس البحث الذى كتبه فى موضوع الأخلاق عند كانط انتُخب فى سنة 1898 زميلاً بالأكاديمية البريطانية لمدة ست سنوات (1898 - 1904) وفى أثناء هذه الفترة كان يُجرى مناقشات عديدة مع برتراند رسل، وألف أول كتبه الرئيسة وهو «مبادىء الأخلاق» Principia Ethica، كما ألف كتابًا صغيرًا بعنوان «علم الأخلاق» Ethics. وتوفى فى كيمبردج فى 24 أكتوبر سنة 1958 بعد أن بلغ سن الخامسة والثمانين.

انظر - دونالد جيليز: فلسفة العلم فى القرن العشرين، ترجمة ودراسة: حسين على، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، أم القرى للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، 2007م، تعليقات المترجم، ص90.

- عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الثانى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م، ص ص 477-476.

- Look Also - G.E. Moore: An Autobiography , in, The Philosophy of G.E. Moore,, Edited by P.A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1942, p.3.

(1) R. M. Sainsbury: Russell, Routledge & Kegan Paul, London, Boston, Melbourne and Henley, 1979, p.3.

أطـوار حياتـه المختلفة، غفل «إدوارد» طـور النفعية الأخلاقيـة فى كونها الرؤية الأولى التى قدمها رسـل فى فلسـفته الأخلاقية، فجعل «النظرية الحدسـية» هى أول رؤية قدمها «رسـل» فى فلسـفته، وقـد قام «رسـل» بعـرض نظريته فى مقاله «عنـاصر النظريـة الأخلاقية» The Elements of Ethics الـذى تم نشره عام 1910م فى كتابه «مقالات فلسـفية» Philosophical Essays، وقد تبنى رسل فى مقاله «النظرية الحـدسـية» على النحو الذى قدمه «جـورج مـور» فى كتابه المسمى بـ»برنكيبيا إثيكا» Principia Ethica أى «أصول النظرية الأخلاقية»، حيث بدأ رسـل مقاله بمناقشـة قضية «الخير والسيء» Good and Bad و«الصواب والخطأ» Right and Wrong، فرأى أن «الخيرَ والسيء» كيفيات (أى طبائع وخصائص) تنتمى إلى موضوعات مستقلة عن آرائنا تمامًا، كما أن الدائرة Round والمربع square ينتميان إلى موضوعات مستقلة عن وجهات نظرنا[1].

والحق أن مقال «رسـل» السـابق ذكره، قد أعيـد نشره أيضًا فى نيو يـورك عام 1925م فى كتـاب «ويلفريـد سـيللرز» Wilfrid Sellars و«جـون هوسـبرس» John Hospers «قراءة فى النظرية الأخلاقية» Reading in Ethical Theory ولكن فترة خضوع «رسـل» لحدسـية مـور لم تسـتغرق وقتًا طويلاً، إذ سرعان ما انتابه الشـك فى أفكارها، بسـبب نقد الفيلسـوف الأمريكى «جـورج سـانتيانا(*)» فى مقاله «الأخلاق السـاكنة» Hypostatic Ethics المنشور

(1) Paul Edwards: Russell, Bertrand Arthur William, in, The Encyclopedia of Philosophy,vol 7, edited by, Paul Edwards, Macmillan Reference U.S.A, New York, 1996, p.251.

(*) جورج سانتيانا «George Santayana» فيلسوف أمريكى، ولد فى مدريد صباح يوم السادس عشر من ديسمبر لعام 1863، وقد تم تعميده بعد ميلاده بستة عشر يومًا فى الكنيسة الكاثوليكية «سان ماركوس»San Marcos، حيث ولد وحيداً لوالده «أوغسطين سانتيانا»Augustin Santayana لكنه كان أخاً لأخوة ثلاثة من أمه، وهى أسبانية كانت قد تزوجت زوجها الأول الأمريكي «جورج ستورجيس»George Sturgis وأنجبت منه هؤلاء الأطفال الثلاثة، كما وعدته قبل موته أن تنشأ أطفاله الثلاثة فى وطنه أمريكا، وأرادت أن تفي بوعدها، فأخذتهم ومعهم وليدها الجديد من زوجها الثانى الأسباني. سافر سانتيانا مع أمه فى= =التاسعة من عمره إلى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث عاشت أمه على هامش «الأرستقراطية» التجارية الأمريكية التى كان زوجها الأول ينتمى إليها.

ولقد زار سانتيانا إنجلترا عدة مرات فى عام 1896، حيث أقام علاقات واتصالات كثيرة مع برتراند رسل Bertrand Russell، ويبدو أن رسل هو الرجل الإنجليزى الأول الذى قابله سانتيانا عندما أرسل إلى جامعة اكسفورد، كما زار رسل الولايات المتحدة الأمريكية فى عام1886، حيث زار هارفارد لبضعة أيام وقدمه=

فى كتابه «رياح المذهب» Winds of Doctrine، فكان من آثاره أن تخلى «رسل» عن نظريته الحدسية[1]. وذلك خلافًا لـ «مور» الذى ظل متيقنًا من صدق نظريته طول حياته، بينما لم تستغرق مع رسل إلا زمنًا قصيرًا.

وهنا لابد من القول أنه ليس عجبًا أن يغير رسل من موقفه الأخلاقى، و يأتى بموقف آخر، فهذا هو المعهود عن فيلسوف عاش قرابة القرن من الزمان، وقد عبر عنه زميله «ألفريد جولس آير» بقوله «إن رسل لديه الكثير من الصفات والأفكار الخصبة دون مقارنته بأى أحدٍ من الفلاسفة، فقد كان يمتاز بمرونة الفكر، لدرجة جعلت أحد فلاسفة كيمبردج وهو «السيد برود»[*] Broad أن يقول عنه، «أن من عادة السيد رسل أن يقدم لنا نسقًا مختلفًا

= أحد الأشخاص لزيارة سانتيانا، ثم كون سانتيانا عنه انطباعات من منظور أن رسل مستمع جيد، وقد استمرت صداقتهم الحميمة حتى مات سانتيانا، ولقد أظهره سانتيانا فى إحدى رواياته وهى «البيوريتانى الأخير» the Last Puritan تحت اسم «جيم دارنلى» Jim Darnley وهو الاسم الحركي والمستعار للورد جيم الذى اعطاه سانتيانا إياه لصديقه رسل. وتوفى سانتيانا بداء السرطان في 26 سبتمبر لسنة 1952، قبيل بلوغه التاسعة والثمانين بأشهر قليلة.

انظر - سعيد على عبيد: فلسفة القيم عند جورج سانتيانا، نيو بوك للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2017م، 17 وما بعدها.

زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، 1979، ص152.

- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1987، ص323.

وانظر أيضًا -

- Richard Butler: the Mind of Santayana, Routledge and Kegan Paul, London, 1965, P11.

(1) Paul Edwards: Russell, Bertrand Arthur William, op. cit, pp.251,252.

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «شارلى دنبار برود» Charlie Dunbar Broad من أبرز الفلاسفة التحليليين فى الفلسفة الإنجليزية المعاصرة، وهو واحدٌ من الذين بحثوا فى الابستمولوجيا والفلسفة التاريخية، وكذلك الفلسفة الخلقية وفلسفة العلم، كما كانت لديه بحوث فلسفية متعلقة بالفيزيقا، ولد فى تمام الحادية عشر مساءًا، يوم الثلاثون من ديسمبر لعام 1887م، فى «هارلسين» Harlesden بلندن، وحصل على شهادة التربية من كلية «دوليش» Dulwich بجامعة كيمبردج، وعلى الرغم من نجاحه فى جامعته إلا أنه لم يظهر كرجل علمى scientist بل تحول إلى الفلسفة عام 1910م حتى أصبح له صيتًا كبيرًا من خلال رجاحة عقله فيها، ومن عام 1911م إلى1920م عمل «برود» كمساعد أوليًا فى جامعة «القديس أندروس» St. Andrews تحت إشراف البروفيسير «ستوت» G. F. Stout أستاذ المنطق والميتافيزيقا، كما تبع «برود» أيضًا «ليود مورجان» C. Lioyd Morgan أستاذ كرسى الفلسفة فى جامعة «بريستول» Bristol، وكان ذلك فى عام 1920م، وبعد عدة سنوات نجح «برود» فى أن يكون محاضرا للعلم الأخلاقى فى كلية «ترينتى» Trinity تحت إشراف=

للفلسـفة كل بضع سـنوات وذلك على النقيض من صديقه «مـور» الذى لم يقدم غير فلسـفة واحدة»[1].

ولذلـك كانـت هناك عدة إشـكاليات تدور في ذهـن الباحث قبل أن يبـدأ في تحليل كنه فلسفة هذا الموضوع للوقوف على ماهيته وأسسه الجوهرية، منها:

1. إلى أى حد يعدُّ برتراند رسـل فيلسـوفًا واقعيًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى؟ أعنى هل كان للفلسـفة المثالية الألمانية التى قام بتفنيدها أثرٌ واضح فى فلسـفته الأخلاقية؟ وما الدعائم التى ارتكز عليها لتدعيم موقفه فى تهافت المثالية؟

2. ما هى طبيعة النظرية الحدسـية فى فلسـفة الأخلاق المعاصرة؟ ولماذا كان هناك تباين بينها وبين مشكلات السلوك الخلقى Moral Conduct؟

3. وما هى الطبيعة العامة للتصورات الأخلاقية المسماه بالميتا أخلاق النقدية؟

= «ماكتجارت». وفى كيمبردج تأثر برود بأساتذته وهم «ماكتجارت» و«جونسون» Johnson وكذلك «رسـل» و«مـور» وكان للفلاسفة الأربعة السابق ذكرهم الأثر الواضح فى تنوع أفكاره، واهتماماته العلمية والخلقية، من أهم كتبه «طبيعة الوجود»، و«الخلفية التاريخية المنطقية» و«الفلسفة التأملية والنقدية»، و«فلسفة فرنسيس بيكون»، و«الفكر العلمى»، و«العقل ومكانته فى الطبيعة»، وكان من أهم كتبه فى مجال الفلسفة الأخلاقية كتابه المعروف باسم «خمس أنماط للنظرية الأخلاقية» Five Types at Ethical Theory عام 1930م، حيث قدم فيه تفسيرا ونقدا لأهم خمس نظريات أخلاقية لـ «اسبينوزا»، «بتلر»، «هيـوم»، « كانط»، «سيدجويك».

انظـــر:

- C. D. Broad: Autobiography. In. The Philosophy of C. D. Broad, Edited by, P.A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1959, p.3.
- Robert Brown: Broad, Charlie Dunbar, in, The Encyclopedia of Philosophy,vol 1, edited by, Paul Edwards, Macmillan Reference U.S.A, New York, 1996, p.396.
- A. R. Lacey: A Dictionary of Philosophy, Routledge, Third Edition, London, 1996, pp.37,38.

- وأيضًا: خالد عبد الله محمود خفاجى: الأخلاق ومنهج البحث العلمى فى فلسفة برود، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بنها، جامعة الزقازيق، 1999م، ص ص26-21.

(1) A. J. Ayer: Russell and Moore, The Analytical Heritage, Macmillan Press, London and Basingstoke, 1971, p.9.

4. ما هو مفهوم الخير فى فلسفة رسل الحدسية؟ وهل جاء تصوره للخيرية الأخلاقية متفقًا مع تصور «مـور» فى خيريته أو «ايونج(*)» فى ينبغيته عن فلسفة الواجب؟

ثانيا: تهافت المثالية

هل كان رسـل فيلسـوفًا مثاليًا؟ و إذا كان كذلك فمتى بدأت المثالية عنده؟ وكيف بدأت الثورة عليها؟ و إلى أى حد وبأى معنى كان فيلسوفًا مثاليًا؟؟

هذه تسـاؤلات تستحق دراسات منفصلة فى ذاتها، ولكنها يمكن أن تثار هنا داخل السياق العام لهذا البحث، ومن ثم تكون الإجابات التى ستقدم محدودة العمق والنطاق واليقين.

فى البدء يقرر رسل حقيقة مهمة وهى أن الفلسفة الأكاديمية خلال القرن العشرين، قد انقسمت إلى ثلاثِ فرقٍ أساسية، الأولى: أتباع الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، متمثلة فى فلسفة كانط وأحيانًا هيجل، والثانية: تتكون من البرجماتيين، والثالثة: كانت ممن يتصلون بالعلم على اعتقاد أن الفلسفة لا تقتصر على لون بعينه من ألوان الحقيقة، ولا بطريقة خاصة للوصول إليها[1].

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «الفريد سيريل ايونج» «Alfred Cyril Ewing» 1899 - 1973 ينتمى إلى الفلاسفة الواقعيين، هؤلاء الذين ثاروا فى مفتتح القرن العشرين على المذهب المثالى الهيجلي فى صورته التى قدمها «برادلى» و«ماكتجارت» و«جرين» وغيرهم من الفلاسفة المثاليين فى ذلك الوقت، والذين اتخذوا من جامعة أوكسفورد معقلاً لهم. وقد ساهم «ايونج» فى هذه الحركة «الواقعية» بكثير من المؤلفات بين كتب ومقالات، منها كتابه الضخم عن «المثالية» وهو الكتاب الذى وصفه فى عنوان فرعى بأنه «مسح نقدى للمثالية»، وله فى هذا الصدد، أيضًا، كتابان ومقال، وجميعهم فى نقد فلسفة « كانط »، وأول الكتابين هو « نقد تصور كانط للعلية» 1924، والثانى « تعليق مختصر على كتاب كانط نقد العقل الخالص»1938، وقد أكد فى الكتابين على ضرورة وجود «نظرية واقعية فى المعرفة»، أما المقال فقد كرسه لبيان «التناقضات الموجودة فى نظرية كانط الأخلاقية» 1938.

ويعد ايونج صاحب نظرية حدسية intuitionism فى الأخلاق وذلك إذا وضعنا نظريته فى مواجهة النظريات «الوضعية» الخالصة أو ما يطلق عليه النظريات الطبيعية naturalism وهى تلك النظريات التى تحاول تعريف التصورات الأخلاقية الأساسية فى حدود تصورات علوم أخرى غير علم الأخلاق، كأن نعرف «الخير» بتصورات مستمدة من علم النفس أو علم الاجتماع أو الأحياء.

انظر- محمد مدين: الفريد ايونج، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص11 - 14.

(1) برتراند رسل: فلسفة القرن العشرين، مقال منشور فى كتاب- فلسفة القرن العشرين، تحرير: راجوبرت د. رونز، ترجمة: عثمان نويه، مراجعة: زكى نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م، ص10.

من خلال الانقسامات الفلسفية الثلاثة السالفة الذكر، يبدأ رسل بسرد تطوره الفلسفى، سواءً فيما كتبه عن نفسه، أو فيما جاء من كتابات لصديقة جورج إدوارد مور، حيث أخبرنا مور بأنه كان مع رسل مثاليًا، وذلك خلال أيامه الأولى فى كيمبردج، وأنه بدأ الخروج على المثالية فى مقالته «طبيعة الحكم»[1]، وقد سايره رسل فى ذلك. على الرغم من كون جورج مور كما يقول عنه رسل، «أنه أصغر منى بأعوام قلائل، ولكن كان له فيما بعد أكبر الأثر فى توجيه فلسفتى»[2]. فقد تأثر رسل بصديقه «مور» فى كيمبردج تأثرًا كبيرا، وذلك فى الاعتقاد بموضوعية المعرفة الأخلاقية التى نادى بها «مور»[3].

عندما كان رسلُ ومورُ طالبين فى كيمبردج، كانت المثالية فى صورتها الهيجلية الجديدة هى السائدة[4]. فيروى رسل عن نفسه فى كيمبردج أنه: «كانت مجموعة الأصدقاء الذين صحبتهم شديدة التأثر بـ«ماكتجارت[*]» Mctaggart الذى حملنا بفطنته على دراسة الفلسفة الهيجلية، وقد علمنى كيف أنظر إلى الفلسفة التجريبية الإنجليزية نظرة ترى فيها فجاجة

(1) محمد مدين: جورج إدوارد مور، مرجع سابق، ص35.

(2) Bertrand Russell: My Mental Development, op.cit, p.10.

(3) Robert John Donald Jackson: The Political Ideas of Bertrand Russell, submitted for the Degree of Master of Arts, the University of Western Ontario, London, Canada, 1962,p.5.

(4) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004م، ص148.

(*) هو الفيلسوف المثالى «جون إليس ماكتجارت» (1886-1925) كان زميلاً بكلية ترينتى فى جامعة كيمبردج، بالإضافة إلى كونه تلميذًا لهيجل ومن المعجبين به. ولقد برز ماكتجارت كفيلسوف جرىء فى الفكر والأصالة، ومدافعًا عنيدًا عن المثالية عامة، ومن أهم آرائه، اعتقاده بخلود الروح اعتقادًا لا يتنافى مع إنكار وجود الله، وهو رأى غير مألوف. كما هذب ماكتجارت شكلاً من أشكال المثالية ليس فيه عقل إلهى أو مطلق، و إنما تتألف الحقيقة من عدد من الأرواح التى تتحد فى انسجام فوق مستوى الحس، بحيث تكون روح كل كائن إنسانى واحدة من هذه الأرواح، وهو يزعم أنه يستطيع أن يثبت أنه لا وجود فى الحقيقة لغير أرواح يحب بعضها بعضًا، وأننا خالدون، وفى نهاية الأمر، سوف لا نخبر الأشياء فى الزمان، وسنصل إلى إدراك طبيعتنا اللازمانية، وفى هذا الإدراك متعة تفوق أية متعة يمكن أن نتصورها، أى أننا سنصل إلى متعة روحية تتجاوز الزمان والمكان والمحسوسات.
انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2007م، ص227.
وانظر أيضًا - الموسوعة الفلسفية المختصرة: ص 407.

وسذاجة، وكنت أميل إلى العقيدة بأن هيجل وكانط يتصفون بعمق فى التفكير هيهات أن تجد له مثيلاً عند أئمة الفلسفة الإنجليزية متمثلة فى لوك، وباركلى، وهيوم، بل هيهات أن تجد له مثيلاً عند الرجل الذى كنت قد اتخذته لنفسى قبل ذلك إمامًا روحيًا، وأقصد به «مل»، فقد كنت فى الأعوام الثلاثة الأولى من حياتى فى كيمبردج أكثر شغلاً بالرياضة من أن أجد فراغًا أقرأ فيه كانط أو هيجل، أما فى السنة الرابعة فقد اتجهت بكل اهتمامى إلى الفلسفة، وكان أساتذتى فيها هم «هنرى سيدجويك(*)» Henry sidgwick، و«جيمس وورد(**)» James Ward، و«ستوت(***)» G.F. Stout، وكان «سيدجويك» من بين هؤلاء الفلاسفة الذى يمثل وجهة النظر البريطانية فى الفلسفة، وهى وجهة نظر أظننى قد ألممت بها وجمعت أطرافها، ولذلك لم يكن له عندى من التقدير بادىء بدء مثل ما كان له عندى آخر الأمر»(4).

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «هنرى سيدجويك» (1828 - 1900) أستاذ كرسى نايتبردج للفلسفة الأخلاقية بجامعة كيمبردج منذ عام 1883م حتى وفاته، كان طوال حياته الرشيدة يمثل رجل كيمبردج، وكان نتاجًا يحمل طابع تلك الجامعة بأكمل معانيه، كتب فى الإقتصاد، كما كتب فى الفلسفة، وكان عضوًا مؤسسًا لجمعية البحث فى الروحانيات، كما كان أول رئيس لها. ومن أهم كتبه «مناهج علم الأخلاق» الذى نشر عام 1874م، وفيه اتخذ «سيدجويك» موقف مذهب اللذة فى المنفعة، ولكن بعد أن تعرف على جوانب المشكلات الأخلاقية المتعددة تعرفًا أكثر وضوحًا، وبعد أن عالج المشكلات التى أثيرت معالجة أكثر إحترافًا عما هو شائع.
انظر - الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص255.

(**) هو الفيلسوف الإنجليزى وعالم الرياضيات «جيمس وورد» (1843 - 1925) كانت اهتماماته واسعة النطاق تتراوح من علم الأحياء إلى ما بعد الطبيعة، وقد نشر آراءه فى سلسلة من المحاضرات، يتضح من خلالهما تأثره بكل من ليبنتز ولوتزه فى مذهب العقول المتعددة، وهو مذهب يفسح المجال بطريقة ما لمذهب المؤلهة ليوحد هذه الكثرة.
انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مرجع سابق، ص ص 280 - 281.

(***) جورج فريدريك ستوت (1860 - 1944) أستاذ المنطق والميتافيزيقا بجامعة سانت أندروز الإنجليزية، درس الفلسفة وعلم النفس فى جامعة كيمبردج، كان رئيس تحرير مجلة العقل Mind من عام 1891حتى عام 1920م وهى مجلة رائدة فى العلوم الفلسفية، كما كان رئيس الجميعية الأرسطية من 1899 حتى 1904م، وكان من بين الطلاب البارزين فى كيمبردج فى هذه الفترة جورج إدوارد مور، وبرتراند رسل، ومن أهم مؤلفاته، علم النفس التحليلى عام 1886، ودليل لعلم النفس فى مجلدين (1899-1898)، ودراسات فى الفلسفة وعلم النفس عام 1930م، وتوفى «ستوت» فى عام 1944م.
Look - C.A. Mace: Stout, George Frederick, in, The Encyclopedia of Philosophy, vol.8, op. cit, pp.22,23.

(4) Bertrand Russell: My Metnal Development, in, The Basic Writing of Bertrand Russell, op.cit, p. 14.

أمـا «جيمس وورد» الذى أحببته حبًا شـديدًا فقد شرح لى الفلسـفة الكانتية شرحًا مهد الطريق أمامى لدراسة فلسفة «لوتزه(*)» Lotze، وأما «ستوت» فقد كان مهتماً بفلسفة «برادلى» Bradley، حتـى قال عن «برادلى» عندما أخرج كتاب «الظاهر والحقيقة» Appearance and Reality أنه قد عرض فى كتابه هذا فلسفة الوجود عرضاً لا يتسنى لأى إنسان على هذه البسيطة أن ينقده فيه، وأما «ستوت»، و«ماكتجارت» فهما اللذان جعلانى هيجلى النزعة»[1].

كما كان لـ«ستوت» أيضًا تأثيرًا مهما، حيث جعل رسل يقرأ فلسفة كل من كانط وهيجل وجـون لوك بعناية وحرص شـديد، وتحت تأثير «سـتوت» أصبح رسـل واحـدًا من المعجبين بفلسفة «برادلى» - فيلسوف أكسفورد العظيم- والتابع لفلسفة هيجل أيضًا[2].

من خلال ما سبق نستطيع القول بأن الأساتذة الذين قاموا بالتدريس فى كيمبردج فلاسفة مثاليـين، فـ«جيمس وورد» كان كانطيًـا، أما «ماكتجارت» فكان يقول عن «برادلى» أنه مثل فكـرة أفلاطونيـة تخطر فى الحجـرة، وقد كانت لديه- فيـما يقول- ردودٌ هيجلية على الفلسـفة التجريبية، وأن باستطاعته أن يبرهن بالمنطق الخالص على أن العالم «خير» وأن الروح خالدة. وأما الاسـتثناء الوحيد فقد كان «هنرى سـيدجويك» صاحب «مناهـج علم الأخلاق» وهو الفيلسوف الذى أعلن عنه «مور» أنه لم يتعلم منه بما فيه الكفاية[3]. فقد كان أحد اهتمامات «سـيدجويك» الأساسية فى كتابه السالف الذكر، هو محاولة عقد مصالحة بين مذهب المنفعة والنزعة الحدسية Intuitionism فى الأخلاق[4].

(*) هو رودلف لوتزه (1817 - 1881) فيلسوف ألمانى أقرب إلى المثالية، حاول فى فلسفته أن يوفق بين المادية والمثالية، وهو يعتمد فى فلسفته ومعارفه الطبيعية على أفكار ليبنتز، من أشهر كتبه «العالم الصغير»، وقد مهدت أفكار «لوتزه» الطريق نحو ظهور مذهب الظواهر «الفينومينولوجيا» عند هوسرل، وكذلك أثر كتابه «المنطق» فى آراء كارنيسكى.

- انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مرجع سابق، ص 204.

(2) Ibid: p. 14.

(3) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, Oxford University Press, New York, 1996, pp.6,7.

(4) محمد مدين: الحركة التحليلية فى الفكر الفلسفى المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص29.

(5) بيتر إدواردز: مستقبل الأخلاق، مقال منشور فى كتاب، مستقبل الفلسفة فى القرن الواحد والعشرين، تحرير، أوليفر ليمان، ترجمة/ مصطفى محمود محمد، مراجعة / رمضان بسطاويسى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 301، 2004م، ص88.

يحاول «دونالد جيليز» فى كتابه «فلسفة العلم فى القرن العشرين» أن يحلل السطور السابقة فى تبيان التحولات الفلسفية التى طرأت على فكر الفيلسوف محل الدراسة، فيرى «جيليز» أن رسل فى بداية حياته الفكرية كان خاضعًا للمذهب الكانطى، وصدر كتابه الأول: «مقال فى أسس الهندسة» الذى نشر عام 1897م كمحاولة لتبرير الهندسة اللاإقليدية من وجهة نظر كانطية، وبعد انتهاء هذا العمل، صار رسل ولفترة قصيرة هيجلى النزعة، غير أنه سرعان ما تخلى عن ذلك تحت تأثير «جورج مور»، إذ عاد رسل بعد هذه التقلبات بين المفكرين الألمان إلى الفلسفة الإنجليزية التقليدية، وظل بقية حياته معتنقًا أنواعًا معينة من الفلسفة ذات طابع تجريبى، غير أنه لم يستقر على فلسفة بعينها، بل كانت تتغير أفكاره وفلسفته من وقت لآخر[1]. وهذا ما جعل فيلسوف كـ «برود» يقول عن رسل: «أن مستر رسل، كما نعرف جميعًا، ينتج مذهبًا جديدًا فى الفلسفة كل بضع سنوات»[2].

ولكن.. لماذا رفض رسل وصديقهُ مور النزعة المثالية عند الفلاسفة الألمان؟؟ وما المنهج الذى بنى عليه رسل فلسفته بعد أن ثار على الفلسفة المثالية؟؟

يقول رسل «لقد حدث لى خلال عام 1898م عدة أحداث جعلتنى أرفض فلسفة كل من «كانط»، و«هيجل» من ذلك أني قرأت كتاب هيجل «المنطق الأكبر» Greater Logic، وكان رأيي فيه هو أن كل ما قاله هيجل عن الرياضة كلامٌ فارغ خرج من رأس ناقصة Headed Nonsense، وكذلك حدث فى هذا العام ما جعلنى أقوم برفض براهين «برادلى» التى أراد بها أن ينفى الكثرة فى الأشياء، وذلك لنفيه العلاقات القائمة بينها، كما قمت برفض الأسس المنطقية للمذهب الواحدى، وكرهت النزعة الذاتية التى تنطوى عليها «الإستطيقا الترنسندنتالية» Transcendental Aesthetic فى فلسفة كانط، ولولا تأثير «جورج مور» فى تشكيل وجهة نظرى لفعلت هذه العوامل بخطوات هادئة، فقد اجتاز «جورج مور» فى حياته الفلسفية نفس المرحلة الهيجلية التى اجتزتها، لكنها كانت عنده أقصر زمنٍ منها عندى، فكان هو الإمام الرائد فى الثورة، وقد تبعته فى ثورته وفى نفسى شعورًا بالتحرر»[3].

(1) دونالد جيليز: فلسفة العلم فى القرن العشرين، مرجع سابق، ص89.

(2) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الثامن من بنتام إلى رسل، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومى للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2009م، ص613.

(3) Bertrand Russell: My Mental Development, op.cit, pp.11,12.

يقول رسل «لقد قال «برادلى» عن كل شيء يؤمن به «الحس المشترك»Commen Sense عند الناس أنه ليس سوى «ظواهر» Appearance فجئنا نحن وعكسنا الوضع من جهة إلى جهة أخرى، إذ قلنا أن كل ما يفترضه «الحس المشترك» بأنه حقيقى فهو حقيقى، ما دام «الحس المشترك» فى إدراكه للشيء لم يتأثر بفلسفة أو لاهوت، وهكذا بدأنا - وفى أنفسنا شعور الهارب من السجن - نؤمن بصدق «الحس المشترك» فيما يدركه، فاستبحنا لأنفسنا أن نصف العشب بأنه أخضر، وأن نقول عن الشمس والنجوم أنها موجودة حتى لو لم يكن هناك العقل الذى يعى وجودها، ولكن على الرغم من ذلك أيضًا لم يمنعنا هذا من الاعتراف بوجود عالم من المثل الأفلاطونية فيه كثرة ولا يحده زمن، وهكذا تغير العالم أمام أعيننا، فبعد أن كان هزيلاً مقيدًا بقواعد المنطق، انقلب فجأة ذا خصوبة وتنوع ومتانة»[1].

من خلال ما سبق نستنتج أن «جورج مور» هو الرائد لرسل فى الخروج من بوتقة المثالية، وقد اعترف رسل بفضله عليه حيث قال: «أننى وجدت فى مور لعدة سنوات مثلى الأعلى عن العبقرية»[2]. وقد صرح سانتيانا بذلك أيضًا فى معرض حديثه عن الفصل الذى خصصه لـ»رسل» فى كتاب رياح المذهب فقال «أنه منذ بضع سنوات مضت، بدأ السيد «جورج مور» الذى كان أستاذًا للفلسفة، فى كلية «ترينتى» Trinity College بجامعة كيمبردج فى إنتاج انطباع عميق جدًا بين أرواح الشباب من خلال جدليته المستنيره والقوية his powerfull and luminous dialectic فقد كان «مور» مثل «سقراط» الذى استخدم كافة ألوان الفنون اللامعة التى يستخدمها المجادلون فى استثارة الحس المشترك commen sense والدوجماتيقية dogmatism التى عفى عليها الزمان، وهؤلاء الذين انصتوا له شعروا بعلو مكانته وسمو تفكيره سواءًا فى الصرامة rigour أو فى القوة force وذلك لإنقلابه على المثالية الألمانية[3].

ويضيف رسل إلى عباقرة الثورة الذين هاجموا الفلسفة المثالية فيلسوف آخر وهو «وليم جيمس»، حيث يقول رسل «وفى التسعينيات كان «وليم جيمس» هو الشخصية البارزة الوحيدة تقريبًا التى وقفت تناهض المثالية الألمانية، وفى عام 1900م بدأت ثورتى ضد المثالية

(1) Ibid: p. 12.

(2) ألفريد جولس آير: الفلسفة فى القرن العشرين، مرجع سابق، ص118.

(3) G. Santayana: Winds of Doctrine - Studies in Contemporary Opinion, J. M. Dent & Sons limited, London and Toronto,1926 p.110.

الألمانية، لا من وجهة نظر برجماتية، بل من وجهة نظر فنية صارمة»[1] (يقصد بها رسل نظرية المعرفة). وذلك على الرغم من أن «جورج مور» لم يكن يقصد من مقاله «تفنيد المثالية عام 1903م» Refutation of Idealism أن يكون تفنيدًا للنظرة المثالية إلى العالم بما هى كذلك، وإنما كان تفنيدًا للنظرية الذاتية فى المعرفة كما يمثلها باركلى، على حد تعبير رودلف متس[2]. أو كما قال «ويتز» M. Weitz كان التفنيد من قبل كل من «مور» و«رسل» موجهًا ضد مفهوم المطلق المثالى[3]. إلى أن جاء عام 1934م وكتب «والتر ستيس» Walter Terence Stace (1886 - 1967م) الفيلسوف الإنجليزى الأصل الأمريكى الجنسية، مقاله فى «تفنيد الواقعية» Refutation of Realism ردًا على مقالة «جورج مور» فى تفنيد المثالية[4]. وأثبت فيها «ستيس» استحالة أن نثبت بالأدلة المنطقية والتجريبية أبسط اعتقاد طبيعى نؤمن به؛ وأعنى به «الإيمان بوجود عالم خارجى مستقل عن إدراكنا له»[5].

لقد أكد رسل على أهمية صديقه «جورج مور» فى القيام بالثورة على المثالية، فعلى الرغم من اتفاقهم فى الثورة إلا أنهم قد اختلفوا فى غايات الثورة، حيث يقول رسل « عندما تمردت أنا و«مور» على كانط وهيجل على السواء، فقد شق «مور» طريق الثورة، أما أنا فقد تبنيت خطاه من بعده. ومع أننا كنا متفقين فى الثورة إلا أننى أعتقد أننا كنا نختلف بصدد ما كنا نهتم به أكبر الاهتمام فى فلسفتنا الجديدة، فقد كان «مور» فيما أعتقد معنيًا أكبر العناية بدحض المثالية، بينما كان جل اهتمامى موجهًا إلى دحض الواحدية(*). بيد أن كل من المذهبين (الواحدية

(1) برتراند رسل: فلسفة القرن العشرين، مصدر سابق، ص ص23،24.

(2) رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام، الجزء الثانى، ترجمة: فؤاد زكريا، مراجعة: زكى نجيب محمود، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2009م، ص152.

(3) Morris Weitz: Analysis and the Unity of Russell`s Philosophy, in: the Philosophy of Bertrand Russell, edited by, p. A. Schilpp, The Library of Living Philosopher, Tudor Publishing company, New York, 1951, p.59.

(4) محمد مدين: نظرية المعنى عند والتر ستيس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص14.

(5) المرجع السابق: ص13.

(*) الواحدية Monism: مذهب فلسفى يرد جميع الأشياء إلى مبدأ واحد، سواء كان ذلك من ناحية الجوهر أم من ناحية القوانين المنطقية أو الطبيعية أو الأدبية، ومذهب الواحدية مقابل لمذهب الإثنينية ومذهب التعدد. وتطلق الواحدية بالمعنى المنطقى والميتافيزيقى على مذهب (هيجل) الذى يرد كل شىء فى العالم إلى الفكرة أو المثال، فالمطلق عنده هو الجوهر الحقيقى، والطبيعة والفكر حالان من أحوال المطلق،=

والمثالية) كانـا مرتبطين ارتباطًا وثيقًا، وكان الرابط بينهما هـو المبدأ الخاص بالعلاقات، الذى استخلصه «برادلى» من فلسفة «هيجل»، واسميته أنا «مبدأ العلاقات الداخلية»، أما نظريتى، فقد اسميتها «بمبدأ العلاقات الخارجية»[1].

هناك أسـباب لثورة رسـل عـلى المثالية على حد تعبـير «فردريك كوبلسـتون» فى تاريخ الفلسـفة، حيث يرى «كوبلسـتون» أن رسـل هاجم المذهب المثالى بقوة عام 1898م لأسباب منها:

أولاً: أقنعته قراءته لمنطق هيجل أن ما قاله هذا الفيلسـوف عن موضوع الرياضيات لغو وليس له معنى.

ثانياً: عندما كان رسل يحاضر عن «ليبنتز» فى جامعة كيمبردج مكان «ماكتجارت» الذى كان خارج البلاد، وصل إلى نتيجة مفادها أن الحجج التى سـاقها برادلى ضد حقيقة العلاقات زائفة[2].

يتضح مما سـبق، أن اختلاف كل من «مور» و«رسـل» فى رفض المثالية كان بالاشـارة إلى اختلافهما فى معالجة مشـكلة «العلاقات الداخلية». فقد حاول رسل بيان أثر الاعتقاد بها على الرياضـة، فنحن لو سـلمنا بـأن العلاقات داخلية فسـوف يترتب على هذا التسـليم أن تكون المثالية، فيما يرى رسـل- على صواب فى زعمها «واحدية» الواقع والحقيقة، وسوف ينتهى هذا إلى أن تصبح قضايا الرياضة ليسـت صادقة. ولما كان رسـل يؤكد على صدق قضايا الرياضة، فقـد انتهى إلى خطـأ فكرة «العلاقات الداخلية» وبالتالى الميتافيزيقا التى تتأسـس عليها. فقد أخطأت المثالية فى نظره خطأ منطقيًا عندما عجزت عن إدراك إمكانية وجود صور من القضايا

= وهكذا تطلق الواحدية أيضًا على مذهب «برادلى» من جهة ما هو مشتمل على القول بوحدة العالم ووجوده المطلق، وبمعقولية الوجود الذاتية، وباتفاق الأشياء فى الباطن رغم اختلافها فى الظاهر، وهى بهذا المعنى مقابلة لمذهب التعدد الذى يقرر أن الإنفصال والكثرة الفردية، والصيرورة، وعدم امكان التنبؤ بالمستقبل، من مقومات الوجود.

انظر - جميل صليبا: المعجم الفلسفى، مرجع سابق، ص ص 548 - 549.

(1) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص61.

(2) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 615.

ليســت قضايا حملية. أما المنطق الذى يقدمه هو فيشــمل على منطق مشــتق للعلاقات كمطنق الحمل والإسناد[1].

وهنا يبرر سانتيانا - رؤيته تجاه النزعة المثالية فى مقاله عن «رسل» فيشير إلى حقيقة مهمة قبل القيام بثورة فلســفية على النزعة المثالية، وهو هنا يدين كل من «مور» ورســل» فى قيامهما بالثورة على المثالية فيقول «ولكن عندما نقوم بدراســة المثالية الألمانية يجب أن نضع فى اعتبارنا أن المثاليــة مذهب فلســفى يرتبط بظــروف العصر والمجتمــع، وهى نزعة مليئــة بالإيحاءات afflatus ونافذة ومخترقة لأعماق القلب، كما أنها نزعة رومانسية بطريقة جوهرية، وليس كل ما فيها يعد «مناجاة المرء لنفسه» ولذلك عندما يتم أخذها من جانب أشخاص غير رومانسيين بمقتضى السلطة (أى ممثلين للأسس العقلانية للعلم والدين) تصبح النزعة المثالية بغيضة odious وواحدة من أسوأ آفات الجدل، والشعوذة التى يتعرض لها خيال عقول الشباب الذين يدرسونها «it becomes positively odious- one of the worst impostures and blights to which a youthful imagination could be subjected»[2].

هكذا جاءت هذه الثورة الفلسفية لتعيد الفكر الإنجليزى إلى مجراه الأصيل، وهو الاتجاه التجريبى، ولتقضى على الفلســفة المثالية التى كان قيامها على أرض انجليزية نشــازًا يدعو إلى القلق. ولقد فقدت المثالية قوتها وتأثيرها فى العشرينات من هذا القرن، إذ كشفت نفسها، ولم يكــن لديها مــا تقول. وكان موت قادتهــا «بوزانكيت» عام 1923م، و«بــرادلى» عام 1924م، و«ماكتجارت» عــام 1925م بمثابة الضربة التى فازت بها حركة التحليل على المثالية الهيجلية، فتحول مجرى التفكير الفلسفى عما كان عليه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتغيرت نوعية المفكرين الأكاديميين بالمثل[3].

وهنا يأتى التساؤل الأصيل ..

مــا التحليــل الذى اتخذه رســل بديلاً عن النزعــة المثالية الألمانية؟؟ وإلى حــد طبق المنهج التحليلى فى نظريته الحدسية؟؟

(1) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص152.

(2) G. Santayana: Winds of Doctrine, op. cit, p.111.

(3) محمد مهران رشوان: دراسات فى فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1998م، ص25.

ترجع بداية حركة التحليل إلى ظهور المقال الذى كتبه «جورج مور» تفنيد المثالية (1903) والذى ثار فيه ضد الهيجلية والمثالية الجديدة، وقدم فى نفس الوقت مثالاً عمليا لمنهج جديد فى معالجة المشاكل الفلسفية، ذلك المنهج الذى يعد من المصادر الرئيسية لحركة التحليل[1]. وقد تابع رسل زميله «مور» فى الثورة ضد الفلسفة الهيجلية مستخدمًا هذا المنهج التحليلى الجديد، يقول رسل «منذ تخليت عن فلسفتى كانط وهيجل، أخذت أبحث عن حلول للمشكلات الفلسفية مستعينًا بالتحليل، ولازلت مقتنعًا اقتناعًا راسخًا، بأن التقدم لا يتيسر إلا بالتحليل، على الرغم من بعض الاتجاهات المعارضة التى تذهب إلى رأى مضاد». فقد وجدت - على سبيل المثال- أننا بتحليل الفيزياء والإدراك الحسى يمكننا أن نجد حلاً نهائيًا لمشكلة العلاقة بين العقل والمادة. صحيح أن أحدًا لم يقبل ما يبدو لى أنه الحل، لكننى اعتقد - وأرجو أن أكون مصيبًا فيما اعتقد- أن هذا راجع فقط إلى أن أحدًا لم يفهم نظريتى»[2].

وينتهى رسل مما سبق إلى تعريف منهج التحليل الذى اتبعه فى فلسفته الواقعية الجديدة، فيقول «منهجى على الدوام هو التحليل، وهو أن أبدأ بشىء ما غامض، ولكنه محير، شىء يبدو قابلاً للشك ولكننى لا أستطيع أن أعبر عنه على أى نحو محدد. ومن ثم أمضى فى عملية تشبه عملية رؤيتنا لشىء بالعين المجردة لأول وهلة، ثم قيامنا بفحصه من خلال مجهر بعد ذلك. وإنى لأجد أنه بتركيز الإنتباه يبدوا لنا من التقسيمات والفروق ما لم يظهر لنا لأول وهلة تمامًا. وعلى الرغم من وجود كثيرون ينددون بالتحليل، إلا أننى أرى أن التحليل يقدم لنا معرفة جديدة دون أن يحطم أيًا من معارفنا التى حصلناها من قبل»[3].

كما أن كلمة التحليل analysis أيضًا تعنى الفحص الدقيق للمفاهيم والتصورات الفلسفية المهمة، واللغة التى تجسد تلك التصورات، مستخدمًا المناهج والأفكار المنبثقة عن المنطق الصورى[4].

ويستطرد رسل حديثه عن منهجه التحليلى فيقول «أن التحليل لا ينطبق على بناء الأشياء

(1) محمد مهران رشوان: فلسفة برتراند رسل، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1979م، ص23.
(2) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص8.
(3) المصدر السابق: ص161.
(4) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, op. cit, p.2.

الفيزيقية فحسب، ولكنه ينطبق على المدركات العقلية أيضاً. وكذلك فإن كلمة المعرفة- كما تستعمل عادة - كلمة مسرفة فى عدم تحددها. ذلك أنها تغطى عددًا من الأشياء المختلفة، وعددًا من مراحل التفكير بداية من اليقين إلى الإحتمال الضعيف أو الشك المطلق»[1].

وعلى الرغم من ذلك، لم يكن رسل هو أول من خلق create الفلسفة التحليلية دون مساعدة من غيره، فقد تأثر فى ذلك بالعديد من المناطقة والفلاسفة التحليليين فى عصره أمثال «بيانو» و«فريجه»، وكذلك تأثر بفلاسفة مدرسة كيمبردج أمثال «مور» و«وايتهد». كما تأثر رسل بديكارت وليبنتز وبعض فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى، حيث قام رسل بدمج كل هذه التأثيرات فى فلسفته ليخرج منها بمدخل جديد لحل المشكلات الفلسفية، وعليها فقد لعب رسل دورًا مهما فى نجاح الثورة الفلسفية فى القرن العشرين[2].

ثالثًا: النظرية الحدسية(*)

هل يمكن القول بأن النظرية الحدسية في الأخلاق عند رسل قد نشأت من فراغ خلقي؟ أم أن نظريته الحدسية جاءت متأثرة بأفكار الفلاسفة الآخرين؟ و إلى أى حد جاءت حدسيته

(1) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص ص161،162.

(2) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, op. cit, p.2.

(*) - الحدس Intuition: هو الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره فى العمليات الذهنية، فيلحظ فى الإدراك الحسى و يسمى حدسًا حسيًا intuition sensible، و يكون أساسًا للبرهنة والإستدلال و يسمى حدسًا عقليًا intuition rationelle وعن طريق الحدس ندرك حقائق التجربة، كما ندرك الحقائق العقلية، وبه نكشف عن أمور لا سبيل إلى الكشف عنها عن طريق سواه، وهو بهذا أشبه بالرؤية المباشرة أو الإلهام. أما النزعة الحدسية Intuitionism: فهى نظرية فى الخيرية Goodness تبدو قريبة الشبه بمذهب اللذة Hedonism فى فلسفة الأخلاق، وذلك من حيث كونها تبدأ من شيئاً ما مباشراً، ذلك الشيء ربما ندعوه بـ»الشعور» feeling ولكن تتميز النزعة الحدسية عن مذهب اللذة فى أن الأولى لديها الحس الخلقى moral feeling الذى من خلاله يمكن التفرقة والتمييز بين الشعور باللذة pleasure والألم pain وكذلك الشعور بصواب الشيء وخطأه، كشعورنا بأن هذا الشيء يعد سارًا أو قبيحًا. وللحدسية الأخلاقية صور ثلاث هى:

1- الحدسية الفردية individual intuition وفيها يحدس الفرد بشكل مباشر الموضوعات والأفعال، و يكون الحكم على الموضوع أو الفعل بأنه صائب أو خاطىء من خلال ادراك الفرد المباشر له دون توسط لأية عمليات عقلية أو استدلالية. =

الأخلاقيـة فى ثوب جديد للحدسـية المورية؟ وكيف امتد تأثير صديقه مـور عليه من إثباته تهافت المثالية إلى تبنيه الحدسية الأخلاقية؟

إن بيـان تأصيـل الفكـرة الفلسـفية فى البحـث الفلسـفى يعـد مـن ضروريـات البحث وأخلاقياتـه، حتـى يتبين للباحث مدى أصالـة الفكرة وعمقها من الناحية الفلسـفية كتحليل فلسـفى، ومن الناحية التاريخيـة للرجوع إلى أصل المفاهيم والأفـكار حتى نتمكن من معرفة أصالتها تاريخيًا.

فإذا كان الفيلسـوف الأمريكى جورج سـانتيانا قد اعترف بنفسـه بأنه يدين فى نظريته الطبيعية الأخلاقية إلى الفيلسوف البولندى باروخ اسبينوزا(*) Spinoza، وذلك بما أكد عليه

= 2- الحدسية العامة the General intuition حيث يعتقد الكثير من الناس أننا نعرف حدسيًا intuitively أن أنواعًا محددة من الفعل تكون صائبة وأخرى خاطئة، ولكن هناك حقيقة ترى أن حدوسنا تمدنا بقواعد عامة للأخلاق هى قواعد صادقة بلا استثناء فى جميع الظروف، بينما رآها «سيدجويك» Sidgwick أن مثل هذه القواعد الحدسية ليست صادقة فى جميع الأحوال والظروف، لأنه توجد قواعد يمكن أن نشك فيها بالإضافة إلى قواعد أخرى لا تكون صادقة أبدا، فالقتل يعتبر فعلاً خاطئًا ولكن عندما يقترن القتل بالدفاع عن النفس لا يكون كذلك، لذلك ذهب «سيدجويك» إلى تأكيد أن الحدوس العامة لا تكون حدوسًا مطلقة، فهى ليست إلا تعليمات تم اشتقاقها من الخبرة المتعلقة بأنواع من السلوك التى تؤدى إلى سعادتنا العامة فى المجتمع.

3- الحدسية الكلية the Universal intuition تعتبر النظرية القائلة بالحدس نظرية فلسفية أكثر منها نظرية أخلاقية، ذلك أن الحدس يهدف إلى الوصول إلى الحقائق الكلية، وهذا هو المقصود بالحدوس الكلية. كما أن ما ندركه بواسطة هذه الحدوس ليس هو الصواب والخطأ، بل هو بعض القواعد أو المبادىء العامة التى يمكن أن تقدم لنا يد العون، سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، من أجل الكشف عما إذا كان الفعل صائبًا أو خاطئًا.

انظـر:

H. J. Paton: The Good Will, A Study in the Coherence Theory of Goodness, George Allen & Unwin LTD, London, 1927, pp. 135-139.

وانظر أيضًا- رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية فى الجمال والأخلاق، مرجع سابق، ص ص 235،236.

- وفاء إبراهيم: دراسات فى الجمال والفن، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص10.

(*) أن الذي جعل سانتيانا يشيد بفلسفة اسبينوزا هو أن سانتيانا رآه واحدًا من أعظم الرجال الذين نمت شهرتهم بشكل أكثر وضوحاً على مرور السنين، فاسبينوزا مثل الجبل الذي حجب واختفى في بدءه عن الرؤية بسبب هذه التلال الصغيرة التي حالت بينه وبين الظهور. كما أنكر اسبينوزا العلل النهائية=

سانتيانا نفسه فى العديد من كتبه على أن فلسفته الطبيعية فى الأخلاق تعود بالضرورة إلى تأثير فلسفة اسبينوزا الأخلاقية، حيث أن اسبينوزا هو الفيلسوف الذى رد الإنسان إلى الطبيعة، وجعل منه النواة الرئيسية لجميع القيم الأخلاقية، موضحًا كيف يتعرف الإنسان على بيئته، وكيف يصبح سيدا عليها[1]. فليس عجبًا أن تعود نظرية برتراند رسل الحدسية(*) فى الأخلاق إلى صديقه فى الدراسة «جورج إدوارد مور» حيث كان لـ «مور» الأثر الواضح فى تحول رسل من موقفه المثالى إلى المكانة التى هو عليها الآن، بعد أن كان واقعًا

=أو الأغراض التي تكون للعمل في الطبيعة، وعلى غرار هذا المعنى الحسي أنكر اسبينوزا خلود الروح the Immortality of the Soul والإرادة الحرةFree-Will، كما أنكر اسبينوزا المسئولية الأخلاقية، فالذي جعل اسبينوزا كما يقول سانتيانا يتحول إلى هذه الاتجاهات الأخيرة هو ذلك التجديف الإيجابي الذي جعله يطابق بين الطبيعة والرب.

انظـــر:

G. Santayana: Introduction in Spinoza Ethics. J.M. Dent- Son Ltd, London, 1938, P. Vii.

(1) G. Santayana: Reason in Common Sense, vol I, in: the Life of Reason, Archibal constable, London, 1906, p.31.

(*)- يشير الكاتب إلى حقيقتين مهمتين فى هذا الفصل:

الحقيقة الأولى: أن معظم الباحثين والكتاب فى الفلسفة الأخلاقية المعاصرة، وبخاصة الغربيين منهم، عندما كانوا بصدد الحديث عن النظرية الحدسية فى الأخلاق، بدأوا يذكرون فى كتاباتهم أن المشرع الأول والمنظر لهذه النظرية هو الفيلسوف الإنجليزى «جورج إدوارد مور»، ولكن عندما ذكروا اسم فيلسوفنا «برتراند رسل» فى نظريته الحدسية فى الأخلاق، أقرنوا اسمه باسم صديقه «جورج مور» فكانت عباراتهم الفلسفية تقول الاسم هكذا «مور ورسل» ولم يذكروا الفيلسوف محل الدراسة منفصلاً عن صديقه «مـور»، كما أن «مور» هو رائده فى الخروج على المثالية الألمانية بكافة صورها، وكذلك لكونه المشرع الرئيسى للنظرية الحدسية فى القرن العشرين، من خلال كتابه «أصول الأخلاق» عام 1903م، ومن خلاله كتب رسل «عناصر النظرية الأخلاقية» عام 1908م، متأثرًا فيه بآراء صديقه «جورج مـور»، ولا يعنى هذا عدم وجود اختلافات بين الفيلسوفين فى عرضهما للنظرية، وهذه الاختلافات سوف يقوم الباحث بتوضيحها من خلال تحليله للرأى والنقيض.

الحقيقة الثانية: أن بعض الكتاب والباحثين يرون أن النظرية الحدسية فى فلسفة رسل، تمثل المرحلة المبكرة من تفكيره الأخلاقى،فيطلقون عليه اسم «رسل المبكر»، وهذا فيما يرى الباحث يعد خطأً جسيمًا، إذ أن النظرية الأولى التى اعتنقها فيلسوفنا كانت النفعية الأخلاقية التى سايرفيها آراء وأفكار «جون ستيوارت مل»، ولكن أخفى رسل إيمانه بهذه النفعية، وذلك كما جاء مسبقًا فى سيرته الذاتية، لظروف أسرية وعائلية، فمن الخطأ أن نغفل هذه الفترة المهمة التى كانت فى أواخر القرن التاسع عشر من فكر الفيلسوف.

تحت تأثير تعاليم ماكتجارت، وكتابات برادلى إلى شكل من أشكال الواقعية الأفلاطونية Platonic Realism[1].

وعلى الرغم من وجود اختلافات بين كل من «مور» و«رسل» فى الاهتمامات فيما بينهم [2]. إلا أننا نجد أن فيلسوفنا قد وافق «مور» فى نظريته الحدسية بشكل كلى، فإذا كان «مور» قد بدأ نظريته الحدسية بتوضيح الأساس الذى يجب أن نبدأ به قبل الشروع فى الإجابة عن أى تساؤل فلسفى، وهو توضيح معنى هذا التساؤل، مثله فى ذلك مثل سائر الأسئلة الفلسفية، وذلك لأن معظم المشكلات الفلسفية تنشأ عن محاولة الفلاسفة الإجابة عن أسئلة غير متضمنة المعنى، ولأنه فى وسع هؤلاء الفلاسفة أن يتجنبوا مصدر هذا الخطأ إذا ما كشفوا عن السؤال الذى يسألونه قبل الإجابة عنه، و يتحقق ذلك عن طريق التحليل والتمييز، وهو عمل شاق وصعب.. غير أنه إذا قمنا بمحاولة جادة تقوم على العزم والإصرار يمكن أن نبلغ النجاح، و بالتالى نستبعد أصعب المشكلات وأشدها نزاعًا فى الفلسفة...[3].

لذلك قال «مور» فى «البرنكيبيا» إنه لكى نقدم تعريفًا صحيحًا للنظرية الأخلاقية يجب علينا أن نكشف أولاً عما هو مشترك a mong بين أحكامنا اليومية الأخلاقية التى لا شك فى صحتها[4].

إنه من المعروف فى تاريخ الفكر الفلسفى المعاصر بأن كل من مور ورسل قد قضيا كثيرًا من الوقت فى مناقشة القضايا الفلسفية، و بصفة خاصة فى السنوات الأخيرة من القرن الأخير، وأن رسل يدين بدرجة كبيرة جدا لصديقه جورج مور فى مقاله المنشور عام 1908 ألا وهو «عناصر النظرية الأخلاقية» The Elements of Ethics فهو يدين لمور فى هذا العمل أكثر من غيره، و يبدو القول أكثر تشويقاً إذا قلنا بأن كل واحد منهما (رسل ومور) قد تعلم الكثير من الآخر[5].

(1) A. J. Ayer: Russell and Moore, op. cit, p.2.

(2) R. M. Sainsbury: Russell, op. cit, p.3.

(3) وفاء إبراهيم عبدالرحمن: فلسفة التحليل عند جورج مور، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، 1992م،ص 237.

(4) G. E. Moore: Principia Ethica, Cambridge At The University Press, London, 1951, p.1.

(5) Ibid: p.3.

إذا كان رسل قد قبل آراء جورج مور بشكل كامل فى نظريته الحدسية فى الأخلاق، فإنه ليس من الصواب أن نقول أن مور قد عمل فى استقلال عن رسل، فقد كانوا زملاءً وأصدقاءً فى جامعة واحدة، يؤثرون فى بعضهم البعض من خلال آراؤهم الفلسفية، وقد كتب مور بطريقة متواضعة فى التعبير، بأنه لا يعرف أن رسل يدين له بشىء سوى تلك الأخطاء، ولكننى أقول أنى قد تأثرت برسل بشكل منفردٍ أكثر من أى فيلسوف آخر[1].

وعليه فإن المصطلح المناسب الذى يتوافق مع الفيلسوفين هو مصطلح «الموضوعية» Objectivism بينما المصطلح الأكثر دقة فى التعبير هنا هو مصطلح «الحدسية» Intuitionism، ولكن المصلح الأكثر توصيفًا فى التعبير هو «النفعية المثالية» Ideal Utilitarian[2]. مع العلم بأن النظرية الحدسية عندما كانت نظرية فى الخيرية أصبحت قريبة الشبه فى وشائجها الأخلاقية بمذهب اللذة الخلقى.

ولكن على الرغم من أن رسل يرى الخير خاصية موضوعية لأشياء معينة، وأنه لا يمكن تعريفها، ولذلك لا يمكن أن يتوحد مفهوم الخير هنا مع ما هو لاذ. إن ما يعطى لذة قد يكون خيرًا، بيد أنه إذا كان كذلك، فإن ذلك يرجع إلى أنه يمتلك، فضلاً عن اللذة خاصية الخير التى لا يمكن تعريفها. إن الخير كما يرى الفيلسوف محل الدراسة لا يعنى «ما هو لاذ» أكثر مما يعنى «ما هو موجود»[3].

و إذا افترضنا مع «رسل» أن الخير خاصية ذاتية، ولا يمكن تعريفها لأشياء معينة، فإنه لا يمكن إدراكه إلا بصورة مباشرة ولا يكون الحكم الذى يُعبر عنه بهذا الإدراك قابلاً للبرهان[4].

وهنا يتساءل الكاتب ...

هل كانت هذه النزعة الحدسية التى يرتضيها رسل كنظرية علمية فى الأخلاق وليدة الفيلسوف الإنجليزى جورج مور فى القرن العشرين؟؟ أم كان لها بدايات تأصيلية لدى

(1) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, George Allen & Unwin L. T.D, London, 1972, pp.465,466.

(2) Ibid: p.463.

(3) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 676.

(4) المرجع السابق: نفس الصفحة.

غيره من فلاسفة العصور الحديثة؟؟ و إلى أى حد بدت النظرية الحدسية فى الأخلاق مبنية على منطق التصورات والنقد؟؟

يمكن القول أن الاعتقاد بالحدس مصدرًا أو وسيلة للمعرفة هو اعتقاد قديم قدم الفلسفة نفسها. فلقد وجد الاعتقاد فى المصطلح فى المعرفة والوجود وأيضاً فى مجال القيم، ومنذ أفلاطون والفلاسفة يميزون بين ثلاثة أنواع من المعرفة، المعرفة القائمة على المعطيات الحسية، والمعرفة الاستدلالية، وأخيرًا المعرفة الواضحة بذاتها، وأعنى بها المعرفة الحدسية[1]. وامتد تأصيل المصطلح إلى العصور الحديثة، حيث أكد رسل على أن هيوم كان يعتبر نفسه فى المقام الأول «فيلسوف أخلاق» وكان تقديره لنفسه كفيلسوف أخلاق يفوق تقديره لنفسه باعتباره «فيلسوفًا نظرياً». وأن هيوم يعترف بأن كتابه « بحث فى مبادئ الأخلاق» هو أفضل أعماله على الإطلاق[2].

بينما كانت رؤية رسل لكتاب هيوم «بحث فى مبادئ الأخلاق» بأنها رؤية غير مكتملة، وهذا ليس عيبًا فى كتابات هيوم الأخلاقية أو قصور فيها، و إنما لأن هيوم لم يفصح فى هذا الكتاب صراحة عن «ماهية التحليل» الذى أدى به إلى الإدراك السديد للمشكلات التى لم يكن أحد من الفلاسفة السابقين عليه واعيًا بها[3].

من خلال ما سبق يمكن القول أن «ديفيد هيوم» قد قدم فى الكتاب الأول من «رسالة فى الطبيعة البشرية» الذى عنوانه «فى الفهم» On Understanding نظرية فى التعريف، تماثل نظرية التعريف الحقيقى Real Definition وهى النظرية التى تبناها فيما بعد، جورج مور فى الفصل الأول من كتابه «أصول الأخلاق» عام 1903م، وكذلك برتراند رسل فى الفصل الأول من كتابه «مقالات فلسفية» وهو الفصل الذى عقده لعرض وجهة نظره فى النظرية الحدسية فى الأخلاق تحت عنوان «عناصر النظرية الأخلاقية»[4]. وقد كانت هذه التأثيرات المستمدة من «هيوم» هى تلك التأثيرات التى أشار إليها «ألفريد جولس آير» عندما قال أن رسل لديه

(1) محمد مدين: الأكسيولوجيا فى الفكر الفلسفى المعاصر، مرجع سابق، ص73،74.
(2) محمد مدين: نظرية القيمة عند ديفيد هيوم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص7.
(3) المرجع السابق: ص8.
(4) المرجع السابق: ص9.

العديد من النقاط التى يتشابه فيها مع «ديفيد هيوم»، كما يأتى رسل على حد تعبيره فى الترتيب مع «هيوم» فى كونه أستاذًا للنثر الإنجليزى[1].

لقد أعلن برتراند رسل فى مفتتح «عناصر النظرية الأخلاقية» أن توجهاته الميتا أخلاقية تختلف عن الأخلاق الوضعية الأخرى، فإن نظريته الأخلاقية التى تم عرضها فى عناصر النظرية الأخلاقية تختلف عن الرؤية التى قدمت فى الفلسفة الخلقية النفعية، حيث يرى أن النظرية الأخلاقية ربما تدرك بشكل شائع على أنها تركز على أسئلة من قبيل: ما نوعية الأفعال التى ينبغى على الإنسان أن يؤديها؟ وما نوعية الأفعال التى ينبغى عليه أن يتجنبها؟ أعنى، هل مهمة فيلسوف الأخلاق هدايتنا إلى ما ينبغى Ought علينا أن نؤديه فى المواقف الحياتية؟ وهل يهتم البحث فى النظرية الأخلاقية بالسلوك الإنسانى[2]؟

يجدر بنا أن نقول مع رسل أنه بالنسبة للسلوك البشرى Human Conduct وتحديد ما هو فاضل Virtuous وما هو باطل Vicious بين نوعيات السلوك التى يمارسها الجنس البشرى، وما يستجيبون لاختياره، فإن هذا الرأى فى هذا المجال يكون مختصًا بالفلسفة الخلقية بوصفها دراسة عملية، مقارنة بالجوانب المعارضة للدراسة النظرية، فالخير Good والصحيح True يُدْرسان أحيانًا تحت إطار الفضائل الأخلاقية، فينتمى المصطلح الأول إلى مجال النظرية الأخلاقية Ethics بينما المصطلح الثانى تختص به العلوم[3].

وهنا يرى رسل أن التصور السابق تقديمه يعتريه النقص والخلل فى شتى جوانبه، حيث يغفل فى المقام الأول موضوع Object النظرية الأخلاقية وخصائصها، باعتبارها نظرية تهدف إلى كشف وتحليل الأفكار والقضايا الصحيحة true عن about السلوك الفاضل والسلوك الشرير، وهذه النظرية تمثل جزءًا من الحقيقة truth بوصفها قضايا صادقة مثل قضايا الأكسجين وجداول الضرب. والهدف من هذه النظرية ليس الممارسة أوالعمل(*)، ولكن

(1) A. J. Ayer: Russell and Moore, op.cit, p.8.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, in Philosophical Essays, George Allen & Unwin Ltd, London, 1966, p.13.

(3) Ibid: p.13.

(*) يشير الكاتب إلى أن رسل يرى هنا أن النظرية الأخلاقية لا تهتم فى الأساس بالقضايا العملية، أعنى بالتقريرات الخاصة التى ينبغى علينا القيام بها فى المواقف الحياتية العملية، فالقضايا الأخلاقية التى هى=

الهدف منها هو تحليل Analysis الممارسة العملية، وبالتالى فليست هذه الأفكار تمثل دراسة عملية فى حد ذاتها، فهى كقضايا الغازات التى تقول بأنها عبارة عن مشتقات الغاز، وكذلك كدراسة علم النبات الذى يهتم بدراسة الخضروات، وكذلك علم الحيوان الذى يهتم بدراسة الحيوان zoology animal وهكذا تكون دراسة النظرية الأخلاقية، فدراستها ليست شيئًا خارجًا عن نطاق العلم، أنها فقط مجرد علم من العلوم[1].

إن ما أكد عليه الفيلسوف محور الدراسة قد قال به «مور» من قبل، ولكن فى شكل مختلف من العبارات ولكنها تؤدى نفس المعنى والمضمون فى رأى الباحث، فقد ذكر «مور» أنه إذا كانت النظرية الأخلاقية تهتم بالسؤال ما هو السلوك الخير what good conduct فإن هذا التساؤل لا يمكن أن يكون نقطة البدء فى أية دراسة أخلاقية مالم يخبرنا أولاً ما هو الخير ثم يخبرنا ما هو السلوك؟

لقد رأى «مور» أن السلوك الخير عبارة عن فكرة مركبة complex idea فليس كل السلوك خيرًا، فبعضه بالتأكيد سيئًا bad وربما كان بعضه الآخر محايدا indifferent ومن ناحية أخرى، فإن هناك أشياء أخرى بخلاف السلوك يمكن أن تكون خيره، عندئذ سيشير الخير إلى خاصية property يشترك فيها السلوك مع الأشياء الأخرى، ولذلك إذا قمنا بفحص السلوك الخير وحده دون الأشياء الأخرى كلها، سوف نقع فى خطأ كبير يتعلق بهذه الخاصية التى لم يشترك فيها مع تلك الأشياء الأخرى، ولكى نتجنب الوقوع فى هذا الخطأ علينا أن نسأل،

= محور النظرية الأخلاقية عمومًا «سواءًا كانت النظرية حدسية أو إنفعالية» ليست قضايا عملية يمكن أن يواجهها المرء فى حياته اليومية، فالنظرية الأخلاقية هنا شبيهة تماما بقضايا العلم التى تدخل فى إطار فلسفة العلم، ولكن لا تدخل تحت إطار التجربة أو التحليل المعملى، وإنما تعالج النظرية الأخلاقية التصورات والقضايا المبنية على مبدأ النقد الخلقى. وهنا يتفق رسل مع صديقه مور، حيث أنه من الخطأ عند الفيلسوفين أن ننظر إلى قضايا النظرية الأخلاقية على أنها مقيدة بالسلوك conduct الإنسانى أو الخيرية الخلقية moral goodness فالنظرية الأخلاقية يتسع مجالها لما هو أكثر من السلوك، فالسلوك تعالجه علوم أخرى غير الأخلاق مثل الدين أو أصول الفقه، من هنا ينبغى التفرقة بين المصطلحين فى فلسفة رسل الأخلاقية، وهما مصطلح ethics الذى يعنى بالنظرية هنا ولا يعنى مشكلة خلقية بأى حال، وهذا المصطلح يخضع تحت إطار النظرية الحدسية، وهو يعالج موضوعات النظرية، ويستخدم منهج التحلِّيل للكشف عن الميتا أخلاق، حيث يمثل دراسة نقدية عن الأخلاق، والمصطلح الثانى وهو moral وهو يترجم هنا بمعنى خلقى وتكون الصفة منه هى الكلمة morality بمعنى الخلقية، وهو هنا يشير إلى المشكلة الخلقية التى تعتنى بالسلوك الخلقى.

(1) Ibid: p.14.

أولاً: ما هو الخير بوجه عام؟ what is good in general حتى يتسنى لنا أن نضع فى اعتبارنا سؤالا عما يكون السلوك الخير. وبالتالى تكون بداية الأسئلة المقترحة من قبيل: ما هو الخير؟ وما هو السيء؟ وأن مناقشة هذين السؤالين يعطينا الاسم الحقيقى للنظرية الأخلاقية التى يجب أن تكون كالنظرية العلمية[1].

من خلال النصوص السابقة للفيلسوف محور الدراسة يتضح أن دراسة النظرية الأخلاقية بوصفها نظرية فلسفية ليست هذه الدراسة خارجة عن نطاق العلم، أى أن رسل يدعو إلى علمية النظرية الأخلاقية دون أن تدخل نظريته داخل نطاق العلم ذاته، وعليها تكون قضايا النظرية الأخلاقية جزء من الميتا أخلاق، فتصبح عبارة عن تحليل لفلسفة الأخلاق ذاتها، «حيث تصبح عباراتها فى هذه الحالة عبارات «ميتا أخلاقية» Meta- Ethical تشبه فى بنائها القضايا التى تقال عن الغازات بأنها ليست غازية»[2].

يرى رسل أنه من غير الملائم فى النظرية الحدسية الأخلاقية أن تجيب على أسئلة خلقية من قبيل «ينبغى عليك أن تؤدى هذا الفعل أو عليك أن تتجنبه» وكذلك عندما نطلب من شخص أن يقول الصدق وأن يتجنب السرقة. فالسبب فى هذه الأسئلة الخلقية كما يقول رسل يتعلق بالتجارب الشخصية العملية، فهى عبارة عن نتائج هذه الأفعال الخيرة أو الشريرة، وبالتالى تكون نتائجها عملية حيث تؤدى إلى تقوية رابطة الصداقة، وتعمل على تحسين العمل التجارى، وعلى ذلك تزداد ثروات المجتمعات التى تزاول هذه الممارسات العملية. ولكن إذا تساءلنا هنا لماذا كان ينبغى علينا أن نهدف إلى زيادة رابطة الصداقة فى المجتمعات؟ كانت الإجابة أن هذه الأشياء خيرة Good وبالتالى تؤدى هذه الأشياء إلى السعادة Happiness والسعادة بطبيعتها خيرة[3].

ولقد أكد على هذا القول «مور» أيضًا عندما رأى أن الأخلاق تمتاز بأنها عامة، إذ أنها لا تتناول وقائع الطبيعة الفردية individual والجزئية particular التى تقوم بدراستها علوم أخرى، مثل التاريخ، والجغرافيا، وعلم الفلك astronomy[4]. ومن ثم لم يكن من مهمة فيلسوف الأخلاق أن

(1) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, pp.2-3.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.13.

(3) Ibid: p.14.

(4) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, pp.2-3.

يقدم نصائح وارشادات شخصية، وبذلك يكون موضوع الأخلاق المباشر هو معرفة هذه المبادىء أو المبررات وليس الممارسة أو العمل بها، ولا يتم ذلك فى رأى «مـور» بأن يعيش الإنسان حياة خيرة دون أن يعرف المبادىء الأساسـية للأخـلاق، وأن يصحح مبادئه العلمية، فمهمة الأخلاق أن يعلم الإنسان ما هو حقيقى بالنسبة لفعل الخير، وليست الأخلاق أن تجعل الناس يفعلون الخير[1].

إذن تختلـف النظريـة الأخلاقية التى ينادى بها كل من «مـور» و«رسـل» عن الفلسـفة الخلقيـة التقليديـة، فى كون الثانية تهتم بتقديم النصائح السـلوكية للإنسـان، بينما الأولى تعد أكثر تنظيرًا وموضوعية، لذلك كانت الفلسـفة الخلقية moral Philosophy هى ذلك التساؤل الفلسفى المتعلق بما ينبغى وما لا ينبغى أن يكون[2].

إن هـذه النظرة الحدسـية التى يقول عنها رسـل بأنها تختلـف اختلافًا بعيدا عن الفلسـفة الخلقية السلوكية القديمة، لم يكن رسل هو أول من تبناها، فقد سبقه «جورج مـور» على حد تعبـير «ألفريد جولس آير» عندما قال أن المهمة الرئيسـية للأخلاق هى البحث فى ماصدقات الخاصيتين الرئيسـيتين للأخلاق وهما: الخير والشر، حيث أن الخير على حد تعبير مور وسـايره رسـل فى ذلك خاصية بسـيطة وليسـت طبيعية، وغير قابلة للتحليل، ومن ثم فالفلاسـفة الذين وحـدوا بين الخير والسـعادة، أو بينه وبين التقدم أو التطور، أو بينـه وبين أى خاصية طبيعية أخـرى (مثـل اللذة والمنفعة أو حـدود غير طبيعية مثل تحقيـق الذات، والالتـزام بأوامر الله ونواهيه دون أن يفقد الحد «خير» شـيئاً من معناه») قد ارتكبوا ما يسـميه «مـور» المغالطة الطبيعية»[*] The Naturalistic Fallacy[3].

---

(1) وفاء إبراهيم عبدالرحمن: فلسفة التحليل عند جورج مـور، مرجع سابق، ص239.

(2) D. D. Raphael: Moral Philosophy, op. cit, p.8.

(*) تعنى المغالطة الطبيعية- أى تعريف الخير بخاصة من الخصائص الداخلة فى نطاق الطبيعة، كالقول أن الخير هو السار أو ما هو مرغوب، ففى القول أن أياً من هاتين الصفتين التى تعرف الخير ارتكاب لهذه المغالطة، ذلك أن هاتين الصفتين موجودتان فى الزمان والمكان، ومن ثم فهما داخلتان فى نطاق الطبيعة، ثم أن المغالطة الطبيعية تنطوي أيضاً على عدم القدرة على إثبات خطأ الغير، فإذا قال شخص ما «المثلث دائرة» وقال آخر «المثلث خط مستقيم» فلن يستطيع أحد منهما من خلال ذلك القول البرهان على خطأ الغير.
انظـــر: ألفريـد جولس آيـر: الفلسفة فى القرن العشرين، مرجع سابق، تعليقات المترجم، هامش ص121.

(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.

وهذه المغالطة كانت عبارة عن خطأ على حد تعبير «مـور» وذلك عندما حاول تقديم الأسس المهمة للأخلاقية Morality الفلسفية، تلك الأسس المتضمنة لتعريف التصورات الأخلاقية[1].

من هنا يمكن القول أن فيلسوف الميتا أخلاق يبدأ عمله بعد أن يفرغ «فيلسوف الأخلاق» مـن وضع نظريته بالفعل. فالميتا أخلاق تتعلق بالنظريات الأخلاقية بنفس العلاقة التى تتعلق بها «فلسفة العلم» بالنظريات العلمية، ومن ثم فهى دراسة يصح وصفها بأنها «محايدة» أعنى - أنها لا تتحيز لمعيار دون آخر أو لمفهوم دون غيره[2].

إذا كان رسـل قد أشار إلى أسبقية «ديفيد هيوم» فى تحديد النظرية الأخلاقية الحدسية، إلا أنـه يدين بالفضل الأكـبر فيها إلى معاصره «مـور» حيث لم يقبل «مـور» أى اعتماد للأخلاق عـلى أى علـم آخر، حيث رأى أن الأخـلاق وحدها هى التى تتعامل مـع القيمة value ومن ثم رفض كل النظريات الأخلاقية التى تأسست على العاطفة[3]*، وآراء المجتمع، وآراء الآخرين، وآراء أغلبيـة الجنس البـشرى، وقرارات بعض الكائنـات غير الإنسـانية، باعتبارها نظريات تناهض اسـتقلال الأخلاق[4]. ولذلك جاء تصوره للأخلاق على أنها البحث العام فيما هو خير وليس على أنها تناول للسلوك الإنسانى باعتباره خيراً أو سيئاً[5].

ولم تقـف التوجهـات الميتا أخلاقية عند رسـل، بل سـاير مـور أيضاً عدد من الفلاسـفة المعاصريـن، أمثال «ايونـج» A.C. Ewing حيث يعد هذا الأخير صاحب نظرية حدسـية فى الأخـلاق، وذلـك إذا وضعنا نظريته فى مواجهـة النظريات «الوضعية» الخالصـة أو ما يطلق عليـه «النظريـات الطبيعيـة» Naturalism، فـ«ايونـج» يدعو إلى نظرية حدسـية فى معرفة «الخيريـة» Goodness و«الينبغيـة» oughtness شـبيهة بتلك النظريات التـى قدمها «مور»

(1) Thomas Baldwin: Contemporary Philosophy, Philosophy in English since 1945, Oxford University Press. New York, 2001, p.231.

(2) محمد مدين: الفريد ايونج، مرجع سابق، ص5.

(*) يشير الباحث إلى أن رسـل يختلف مع مـور فى أن الأول قد غير من نظريته الأخلاقية من الحدسية التصورية إلى النظرية الانفعالية أو العاطفية، ورسل فى هذه النظرية يساير مور، ولكنه سيتخلى عن هذه النظرية المورية لأسباب سوف أقوم بتوضيحها فى الصفحات القادمة، وذلك على النقيض من مـور الذى ظل معتنقاً هذه النظرية، حتى تأثر بها عدد لا بأس به من الفلاسفة.

(4) محمد مدين: جورج ادوارد مـور، مرجع سابق، ص98.

(5) المرجع السابق: ص101.

و«رسـل» و«ديفيد روس(*)» W.D.Ross و«برتشـارد(**)» من الفلاسفة الإنجليز، و«فرانز برنتانو(***)» Brentano و«مينونج(****)» Meinong من الفلاسفة الأوربيين[1].

(*) هو سير وليم ديفيد روس ولد فى 15 أبريل 1877م فى ثورثو، اسكتلندا، و إلتحق بكلية باليول، بجامعة أكسفورد، وله شهرتان عالميتان متميزتان: الأولى، يعد وليم ديفيد روس شخصية رئيسية فى دراسة فلسفة أرسطو، حيث كان محررًا عامًا لسلسلة فلسفة رسطو الصادرة عن جامعة أكسفورد، كما عمل على تحرير عدد لا بأس به من أعمال أرسطو باللغة اليونانية، سواء فى الميتافيزيقا أو الطبيعيات أو التحليلات، كما عمل على شرح فلسفة أرسطو ومعالجة النصوص اليونانية من أهم الأعمال الفلسفية فى القرن العشرين. أما الثانية، فإليه يرجع الفضل أيضًا أكثر من أى فرد آخر فى صياغة الأخلاق الحدسية صياغة جديدة فى الفلسفة المعاصرة، وتوفى روس فى أكسفورد فى 25 مايو 1971م.
See- Stanford Encyclopedia of Philosophy , At, http://plato.stanford.edu/entries/william-david-ross/ 18/2/2012.

(**) هو «هارولد آرثر برتشارد - فيلسوف بريطانى، ولد فى لندن (1871 - 1947م) وهو رائد جامعة «أكسفورد» فى الحدسية الأخلاقية، ولكن أول أعماله المنشورة كانت فى نظرية المعرفة، وقد استقى رؤيته عن نظرية المعرفة والفكر الدينى من الأستاذ «جون كوك ويلسون» John Cook Wilson ومن أهم أعماله المنشورة «نظرية المعرفة عند كانط» عام 1909م، و«هل تقوم الفلسفة الأخلاقية على خطأ» عام 1912م، و«الواجب والجهل بالواقع» عام 1932م، و«الإلتزام الأخلاقى» عام (1968-1949م)، و«المعرفة والإدراك» عام 1950م، وقد استنتج من خلالهم أن المعرفة فريدة، وبالتالى تكون نظرية المعرفة أمرًا مستحيلاً فـ«المعرفة هى المعرفة» واستدل من نظرية المعرفة على أن القيم الأخلاقية فى نهاية المطاف غير قابلة للتحليل أو التعريف، ويمكن التأكد منها فقط من خلال الحدس.
انظـر: مصطفى عبد الرؤف راشد: القيم الأخلاقية عند ستيفن بيبر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، 2011م، هامش ص204.

(***) فيلسوف مثالى نمساوى، أسهم بإضافات مهمة فى ميدان علم النفس، كان قسيسًا لمدة تسع سنوات، ولما لم يعجبه إعلان أن البابا معصوم ترك الكنيسة فى 1873م، وعمل مدرسًا فترة لا بأس بها فى جامعة فيينا. أهم كتابين من تأليفه، هما: «علم النفس من الوجهة التجريبية» فى 1874م، و«مصدر المعرفة الأخلاقية فى 1899م. وعندما كان اهتمامه الأساسى منصبًا على علم النفس التجريبى فقد أنشأ مذهبًا مثاليًا عن «غائية» الظواهر العقلية، وكان لآرائه تأثير كبير على هوسرل ومور. ويعد «برنتانو» أحد مؤسسى النظرية المثالية لفلسفة القيم بالنمسا.
انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مرجع سابق، ص ص 45-44.

(****) الكسيوس مينونج (1853 - 1920) فيلسوف نمسوى، طور علم النفس القصدى الذى وضعه برنتانو، وأثرت نزعته الواقعية تأثيرًا عظيمًا فى رسل ومور وغيرهما من الواقعيين البريطانيين والأمريكيين. أنفق مينونج معظم حياته أستاذًا بجامعة كراتس، ومؤلفاته الرئيسية هى: «دراسات عن هيوم» (1877 - 1882)، «أبحاث نفسية - أخلاقية نحو نظرية فى القيمة» (1884)، «عن الإفتراضات» (1902)، «من الإمكان والإحتمال» (1915)، «عن الإنفعال حين يكون مشيرًا إلى معنى» (1917)، «عمل تمهيدى لنظرية عامة فى القيمة» (1923).
انظر - الموسوعة الفلسفية المختصرة: مرجع سابق، ص 473.

(1) محمد مدين: الفريد ايونج، مرجع سابق، ص ص 13،14.

وعلى الرغم من وجود فروق كثيرة بين هؤلاء الفلاسفة، إلا أننا إذا أخذنا هذه النظريات مجتمعة، فإننا نلاحظ أنها تنطلق من معظم الأشكال السابقة للبحث الأخلاقى، أى أنها ذات طابع «أخلاقى ميتافيزيقى» تمامًا، وأن الهدف الأساسى من هذه النظريات هو إجراء البحوث بغرض التوصل إلى مجمل القواعد المنطقية التى تحكم استخدام التعبيرات الأخلاقية فى أى مذهب أخلاقى[1].

ولقد أدت النظرية الحدسية بـ»ايونج» إلى التأكيد على قضية أساسية لا غنى عنها فى نظره- لقيام النظرية الأخلاقية، وهى استحالة وجود استدلال صحيح للقضايا الأخلاقية والقيمية عن طريق نوع من الاستدلال المنطقى من طبيعة الواقع دون أن نفترض - أولاً- صدق بعض القضايا الأخلاقية، وأنه بدون وجود هذه القضايا الصادقة صدقًا أولانيًا(قبليًا) Apriori لا يمكننا بحال أن نبدأ العمل فى فلسفة الأخلاق، ولا نجانب الصواب لو قلنا أن هذه الفكرة هى المسلمة الأساسية لدى أصحاب الاتجاه الحدسى[2]. وقد وافق على ذلك «هاستنج راشدال» حين عرف «الحدسية» بأنها النظرية التى ترى أن الحدس يبين على نحو «أولانى» كيف أن أفعال معينة تكون صوابًا أو خطأً وذلك بدون لجوء أو إشارة إلى نتائج هذه الأفعال.

من خلال ما سبق يمكن القول أن رسل يتحرك من وجهة نظر «موريـة» خالصة فى الأخلاق[3]. وذلك على الرغم من أن نظريته الأخلاقية كانت على امتداد كبير بوظيفة نظرياته العامة فى الفلسفة (المنطق وفلسفة العلم وفلسفة اللغة) حيث انطوت على غموض إلى حد ما فى تسلسلها المنطقى، ولكن على الرغم من ذلك كانت المشاكل التى تعالجها النظرية الحدسية من النوعية الكلية (التصورات الأخلاقية) من حيث مفهومها العام[4].

لقد اعتقد رسل أن الأحكام الأخلاقية إما أن تكون صادقة true أو كاذبة False فى أى أسلوب تكون عليه هذه الأحكام الأخرى، وكذلك يعد الخير Good والشر Evil والصواب Right والخطأ Wrong عبارة عن خصائص واقعية، وحقائق موضوعية تمامًا، ومستقلة كل

(1) بيتر إدواردز: مستقبل الأخلاق مرجع سابق، ص89.
(2) محمد مدين: الفريد ايونج، مرجع سابق، ص14.
(3) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 677.
(4) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.462.

الاستقلال عن تلك الذات المدركة له، مثلها فى ذلك مثل وجود الحشائش الخضراء، وكذلك الصلابة فى البرونز[1]. مما يؤدى إلى موضوعية وصدق الأحكام الأخلاقية.

وهذا يعنى بالتأكيد شرح لقول رسل فى صدق العبارة، وتمييز الواقعة عن الأشياء، فى قوله «عندما أتحدث عن واقعة ما فإننى لا أعنى شيئًا جزئيًا موجودًا مثل سقراط أو المطر أو الشمس، ذلك لأن سقراط فى حد ذاته لا يجعل أى عبارة صادقة أو كاذبة. ومن ثم يجب عليك ألا تفترض أن سقراط ذاته هو ما يضفى الصدق على العبارة، لأن ذلك يعد خطأ بكل تأكيد... فسقراط ذاته، أو أى شيء جزئى بذاته، لا يجعل أى قضية صادقة أو كاذبة، فنحن نعبر عن واقعة عندما نقول أن شيئًا معينًا له خاصية أو علاقة بشيء آخر»[2]. وهذا بالتأكيد ما أكد عليه «مور» من قبل عندما رأى أن الأخلاق ذات طابع كلى أو عام، وليس لها علاقة بالوقائع الفردية أو الجزئية التى تدرسها علوم أخرى كالجغرافيا أو التاريخ.

إن هذه القيم Values الأخلاقية التى ينادى بها رسل تشبه الحقائق فى مجموعها على حد تعبير «رونالد جاجير» Ronald Jager له، لدرجة يمكن أن نقول فيها أن القيم والحقائق على درجة واحدة، فالخير good والسيء Bad عبارة عن حقيقة واقعية مثل حقيقة الواحد والاثنين، وهذه الرؤية التى يقدمها رسل موجودة فى المقالات التى قدمها «مور» من قبل فى كتابة «أصول الأخلاق» Principia Ethica وكانت هذه الرؤية متوجة فى كتاباته الجدلية ضد البراجماتيين Pragmatists، ولذلك ظهرت تفاصيل نظرية مور الأخلاقية بكل وضوح فى مقال رسل «عناصر النظرية الأخلاقية» المنشور فى كتابه «مقالات فلسفية» Philosophical Essays[3].

لقد اعترف رسل بفضل صديقه «مور» فى معظم فلسفته، فيقول عنه «رودلف متس»: «أن رسل اعترف بذلك دون تحفظ وذلك فى مقدمة كتابه «مبادىء الرياضيات» فقال «أن

(1) Ibid: p.463.

(2) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص ص-162 163.

وانظر أيضًا- السيد عبد الفتاح جاب الله: فلسفة اللغة والمنطق عند ستراوسن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2005م، ص76.

(3) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.463.

موقفى فى جميع المسائل الفلسفية مستمد فى أهم معالمه من جورج مور»، وبفضل «مور» الذى لم يكن قد كتب عندئذ إلا بضعة مقالات فى بعض المجلات، أصبح رسل من أتباع نظرية المعرفة الواقعية الجديدة»[1].

رابعا: تصور الخيرية

ما المقصود بالخيرية؟ وهل يختلف الخير فى مفهومه الحدسي عن مفهومه فى النظرية النفعية والنظريات الأخرى؟ وما الجديد الذى أضفاه رسل فى تصوره الجديد للخيرية الميتا أخلاقية؟ أم جاءت تصوراته الحدسية للخيرية مطابقة لصديقه جورج إدوارد مور؟ وما العلاقة بين تصور الخير وتصور الصواب؟

يؤكد رسل على بديهيات الخيرية الأخلاقية، تلك البديهيات التى تحدث عنها «مور» من قبل فى «البرنكيبيا الأخلاقية»، فيرى رسل أن المعنى المقصود بالخير Good والسيء Bad هو أنهما عبارة عن أفكار Ideas محفورة فى ذهن كل إنسان، وبالتالى تكون هذه الأفكار عامة لدى البشر، وتنشأ هذه الأفكار البسيطة فى ذاتها من خلال أفكارنا المعقدة complex أى أنها تنشأ من خلال تحليل الأفكار الأكثر تعقيدًا[2].

إذن يؤكد رسل فى بداية تحليله للحد «خير» بأنه مفهومٌ بسيطٌ، نشأ من خلال تحليل الأفكار المعقدة الموجودة بالذهن، ولكن عندما يقوم شخص ما بسؤالنا «وماذا تعنى كلمة الخير؟ فإن الإجابة يجب أن تكون متطابقة ليست مع المفهوم اللفظى للكلمة بل مع واقعيتها، حتى تكون فى تطابق مع السؤال المطروح عن معنى كلمة «المخمس» Pentagone (الشكل الهندسى ذو الأضلاع الخمسة) [3].

ولكن هذا الوصف السابق بين المحمول «خير» وكلمة «المخمس» ينبغى أن يستدعى الفكرة المناسبة فى عقل السائل، حيث أنه من الممكن أن يحتوى الوصف على الخاصية ذاتها للسؤال المطروح عن مضمون فكرة الخير good، فإنه تشبه الطريقة التى يتعلم بها الأطفال أسماء

(1) رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام، مرجع سابق، ص177.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.16.

(3) Ibid: p.16.

الألوان التى تعرض عليهم، فتراهم يقولون أن هذا الكتاب لونه أحمر، ونظرًا لأنهم خائفون فهم يعتقـدون أن كلمة «أحمر» تعنى الكتاب، ولكن تعرض عليهم الوردة الحمراء، والكرة الحمراء، إلى غـير ذلك. فيقولون أن هذه الأشـياء جميعهـا حمراء، وهكذا تأتى فكـرة الاحمرار إلى عقولهم وأذهانهم، على الرغم أنه من المسـتحيل عليهم أن يصلـوا إلى تحليل مفهوم «الاحمرار» Redness بل هم عاجزون عن أن يجدوا العناصر والمكونات التى تتألف منها الكلمة[1].

يقارن رسـل كما فعل «مـور» من قبل بين الحد «خير» و«اللون»، ولكن إذا كان «مـور» يقارن من حيث البسـاطة[*] بين الخير واللون الأصفر[2]، فإن رسـل يقارن بين الخيرية واللون الأحمر. فالخيرية ليسـت مكونة من أجزاء، فهى غير قابلة للتحليل، كما أنها خاصية بسـيطة، وغير قابلة للتعريف، فهى مثل اللون الأصفر عند «مور» واللون الأحمر عند «رسل»، كما أنه تتشابه مع الكيفيات الأخرى البسيطة التى لا تعد innumerable ولا تحصى[3].

ولكـن رسـل ينبهنا إلى أن الأمر فيـما يتعلق بالخيرية من حيث وصفها بالبسـاطة وبعدم القابليـة للتعريـف Indefinability، أو التحليـل إنما يعـد أكثر صعوبة فى الفهـم عند مقارنته بالحدود الأخرى التى نصفها بهذه الصفات مثل الألوان. وبرغم تنبيه رسل إلى هذه الصعوبة فقد مضى فى تأكيده على أن اللون «أحمر» لا يمكن تحليله أو رده إلى مكوناته الأكثر بساطة، وذلك بنفس المعنى الذى يكون فيه مفهوم الخير مفهومًا بسيطًا لا يقبل التحليل أو التعريف[4].

يستطرد رسـل تصوره لمعنى «الخير» فيشرح عبارته السابقة، فيقول «أنه فى حالة «الخير» يكـون الأمر أكثر صعوبة، وذلك لكون محمول «الخيريـة» Goodness لا يمكن أن يدرك من خلال الأحاسـيس Senses مثل مفهوم «الاحمرار». ونظرًا لأنه يوجد شـبه اتفاق على الأشـياء الخيرة أكثر من الأشـياء الحمـراء، فإن هذا الأمر ربما يكون أحد الأسـباب التى تؤدى بالناس إلى أن يعتقـدوا أن محمـول «الخير» يمكـن أن يحلل أو يرد إلى فكرة أخـرى مثل فكرة السرور

(1) Ibid: p.16.

(*) My point is that «good» is a simple notion, just as «yellow» is a simple notion.

(2) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, p.7.

انظـر أيضًا: محمد مدين: جورج إدوار مـور، مرجع سابق، ص105.

(3) H. J. Paton: The Good Will, op. cit, p.38.

(4) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, pp.16,21.

pleasure أو موضوع الرغبة object of desire وهذا هو السبب الأول»[1]. أى أن فكرة الإحمرار تختلف عن محمولات الخير.

أما السبب الثانى، والذى اعتقد أنه يكون كافيًا ووافيًا، هو ذلك الخلط الشائع بين الأشياء، ذلك الخلط الذى دفع بالناس إلى الاعتقاد بأنهم غير قادرين على فهم محمول «الخير» إلا عندما يعرفونها ثم يقومون بتحليلها، غير مدركين أن الأفكار يمكن أن تتحدد بالأفكار الأخرى، فعندما يبدأون التفلسف يعمدون إلى نسيان كل شيء مألوف، وذلك على النقيض من اكتسابهم لمفهوم «الاحمرار» أو أى لون آخر من الألوان التى توضح كيفية كون الأفكار مرئية، بينما يكون التحليل والتعريف أمرًا مستحيلا[2].

وهنا يستطيع الباحث أن يقارن من حيث الإدراك لكل من صفة «الخيرية» وصفة «الألوان»، فنجد أن: الخيرية كيفية لا ندركها بالحواس خلافًا للألوان التى ندركها بالحواس، كما يوجد خلافات كثيرة تتعلق بالأشياء التى يتم وصفها بأنها «خيرة»، فليس الأمر على هذا النحو فيما يتعلق بالألوان.

إن ما قام به رسل فى مجال إثبات عدم إمكانية تحليل وتعريف الحد «خير» قد سبقه إليه «مور»، وما فعله رسل هنا هو مسايرة صديقه فى حدسيته، بل أضاف «مور» إلى ما سبق تقديمه أن محمول «الخير» عبارة عن كيفية غير طبيعية non- natural كما أنها خاصية بسيطة simple وغير قابلة للتعريف أو التحليل[3]. مثلها فى ذلك مثل اللون الأصفر، ولكنها قادرة على أن يتم إدراكها بشكل مباشر عن طريق الحدس، بل أضاف رسل إلى ذلك «أن الخير والسيء عبارة كيفيات بسيطة qualities تخص الأشياء بطريقة مستقلة عن آرائنا، مثلها فى ذلك مثل فكرة الدائرة Round والمربع Square فعندما يختلف شخصان على وصف شيء ما بأنه «خير» يكون واحدٌ منهم فقط على صواب، وعلى الرغم من ذلك يكون من الصعوبة لدينا أن نعرف أيضًا أياً منهم على صواب وأيهما على خطأ[4]. وعلى ذلك يمكن القول أن فلاسفة النظرية

(1) Ibid: p.16.

(2) Ibid: pp.16,17.

(3) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, pp.7,8,15,17,21.

(4) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.465.

الحدسية هنا يقفون على النقيض من الفلاسفة الطبيعيين، من حيث كون الخير فكرة بسيطة غير قابلة للتحليل والتعريف.

لقد اعترف «مور» بأنه لا يوجد من بين فلاسفة الأخلاق من أدرك حقيقة أن الخيرية الأصيلة intrinsic goodness كيفية quality بسيطة لا تقبل التحليل أو التعريف سوى مواطنه الفيلسوف الإنجليزى «هنرى سدجويك» Prof. Henery Sidgwick فى الفصل الثالث من كتابه «مناهج الأخلاق» Methods of Ethics[1] وكذلك عالم النفس النمساوى «فرانز برنتانو» صاحب كتاب «أصول معرفتنا بالصواب والخطأ» the Origin of Our Knowledge of Right and Wrong[2]. فمجمل القول فى النظرية الحدسية هنا هو أن الخيرية خاصية بسيطة، وفريدة وغير قابلة للتحليل أو التعريف، هى عبارة عن موضوع الفكر object of thought أو الحدس intuition. كما أن الخيرية عبارة عن كيفية quality كما أنها تعد خاصية property ولكنها خاصية غير طبيعية not a natural property كما أنها موجودة ومتأصلة فى الأشياء الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى[3]. ولم يقف «مور» عند هذا الحد، بل رأى أن الصدق truth ذاته خاصية property حتى قال «أن الصدق خاصية بسيطة غير قابلة للتحليل»[4].

وعندما كانت الخيرية عند «مور» و«رسل» خاصية غير طبيعية، فقد حاول «مور» أن يبرهن وسايره رسل فى ذلك، على أن معظم الفلسفة الخلقية التى كانت موجودة فى الماضي قد وقعت فى خطأ جسيم، وذلك عندما حاولت أن تجعل «الخيرية» إلى جانب الخصائص الطبيعية الأخرى، ولهذا السبب أنكرت النظرية الأخلاقية بوصفها نظرية، وكذلك أهملت مضمون القيمة. لذلك احتفظ «مور» بالخاصية القيمية للشيء- ألا وهى «الخيرية»- تلك الخيرية التى توجد داخل الشيء، وتكون مرتبطة بالطبيعة الذاتية للشيء ذاته. ولكن ليست هناك طريقة أخرى لهذه الخصائص الأخرى المتناقضة، كما اقترح «مور» أن الواجب duty و«الإلزام» obligation ليسوا كالخيرية من حيث التعريف أو التحديد، فأى جملة إلزامية تنجذب نحو

(1) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, p.17.

(2) محمد مدين: التوجهات الميتا أخلاقية لنظرية مور المعيارية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص ص8،9.

(3) H. J. Paton: The Good Will, op. cit, p.39.

(4) السيد عبد الفتاح جاب الله: فلسفة اللغة والمنطق عند ستراوسن، مرجع سابق، ص54.

نوعين من الجمل الإلزامية: الأولى هى الإدعاء claims نحو القيم الأصيلة(*) intrinsic value من جهة، والأخرى تكون النتائج المعتادة للأفعال[1].

يستطيع الباحث المتخصص فى النظرية الأخلاقية أن يستنتج من النصوص السابقة، أن رسل يقرر أن هناك حقيقة بالغة الأهمية، وهى أن المحمول «خير» عبارة عن فكرة بسيطة Good is a simple nation[2]، كما أنه يشير إلى كيفية لا تقبل التعريف أو التحليل حيث يمثل جوهر المعرفة التى كانت موجودة،، والتى سوف تكون[3].

ولذلك أصبحت كلمة «الخير» موضوعًا لجدال وخلافات فلسفية كبيرة، وذلك على النقيض من كلمة «الرضا» satisfying فكلمة «الرضا أو السرور» لها معنىً واضحًا، ولكن إذا

(*) آثرت هنا الإتفاق مع أستاذى الدكتور: محمد مدين فى ترجمته للكلمة الإنجليزية intrinsic value بالقيمة الأصيلة، بحيث تعنى هنا الكيفية «المتأصلة» فى طبيعة الشىء، ورفضت ترجمتها إلى الكلمات الشائعة والمعتادة من قبيل «ذاتى» و«باطنى» والتى قد تكون ترجمة حقيقية للكلمة، ولكن فى مجالات أخرى غير دراسة القيمة، كما أن كلمة «ذاتى» قد تختلط فى ذهن القارئ بكلمة subjective بينما المعنى المقصود به فى النظرية الحدسيةعند برتراند رسل، و«مور» وغيرهم من الفلاسفة اللاطبيعيين يقترب من الموضوعية objective فإذا ترجمت الكلمة إلى معنى غير الأصيل كان ذلك خطأ، حتى لا نقول فى الترجمة الأخلاقية مثلاً (أن القيمة الذاتية موضوعية) كما أنه ليس من الضرورى أن يكون ما هو «باطنى» كيفية أصيلة فى الشىء، فمن الممكن أن يكون عارضًا وليس أصيلا. وقد فطن إلى ذلك كل من «مور» و«رسل» فى كتاباتهم الأخلاقية، فقد ذكرها «مور» عند مقارنة محمول «الخير» بالخير فى ذاته good in itself وكذلك بين «القيمة» و«القيمة الأصيلة»، بل خصص فصلاً مستقلاً لمناقشة القيمة الأصيلة intrinsic value تحت نفس المعنى، فى كتابه المسمى بالأخلاق، أما فى مقاله «هل الخيرية كيفية؟» Is Goodness a Quality? المنشور فى كتابه أوراق فلسفية، استخدم المصطلحين التاليين: intrinsic value وترجمتها بـ»القيمة الأصيلة»، والمصطلح الثانى كان intrinsically good وترجمتها بـ»الخير على الأصالة»، وقد تأثر بها «برتراند رسل» فى مقاله «عناصر النظرية الأخلاقية».

انظر:

- محمد مدين: التوجهات الميتا أخلاقية لنظرية مور المعيارية، مرجع سابق، ص85.

G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, p.21.

G. E. Moore: Ethics, Oxford University Press, London, 1911,pp. 116-131.

G. E. Moore: Philosophica Papers, George Allen & Unwin LTD, London, 1959, pp.93-96.

(1) H. J. Paton: The Good Will, op. cit, p.465.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.22.

(3) Ibid: p. 21.

كانت كلمة «الخير» تعنى السرور أو الرضا فهذا من شأنه أن يعرض سؤالاً مؤداه: كيف أن المحمول «خير» كلمة محددة وتجيب على التساؤلات المعقدة فى فلسفة الأخلاق[1].

من هنا وجب علينا أن نقول فى النظرية الحدسية وتصور «الخيرية» أن المحمول «خير» كلمة لا تحدد أو تعرف كمفهوم لكلمة «الرضا أو السرور» لأننا فى هذه الحالة لا نحدد «جوهر» المحمول «خير» ولكننا فقط نحدد موضوعها ومادتها، وهى صفة الخيرية Goodness[2].

إنه لشرح المقصود بالخير والسيء فيما يقول رسل، أن الشيء يكون خيرًا عندما يكون خيرًا فى حد ذاته it's own account، كما ينبغى أن يكون موجودًا exist ويكون الشيء سيئاً عندما يمثل شرًا فى حد ذاته، كما ينبغى أن لا يكون موجودًا. وأنه إذا كان باستطاعتنا أن نجعل من الشيء موجودًا أو غير موجودٍ، فإنه ينبغى علينا أن نجعل الشيء موجودٌ إذا كان خيرًا، وغير موجودا إذا كان سوءًا[3].

فإذا كان الشيء خيرًا، فإنه يجلب لنا المتعة والسرور فى وجوده، و إذا كان سيئًا فإنه يسبب الألم Pain فى وجوده، ولكن فى الحقيقة مثل هذه الخصائص السابقة لا تزيد عن كونها افتراضات presupposes لمفاهيم الخير والسيء، كما أنها مفيدة فى قدرتها على استدعاء الأفكار الصحيحة فقط فى كونها عبارة عن وسائل، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها كأفكار للتعريفات المنطقية[4]. كما أنه ربما يعتقد البعض أن الخير يمكن تحديده أو تعريفه could be defined بوصفه كيفية quality ينبغى محاولة تقديمها، ولكن هنا وفى هذه الحالات يجب علينا وضع محمول «الخير» فى موضعه الصحيح كفكرة غير قابلة للتعريف، حيث أن كلمة «الخير» أشمل وأعم من تلك المعانى التى نحاول تقديمها عندما نتحدث عن السلوك الإنسانى[5].

لقد وجد الباحث أن رسل فى هذه العبارات الحدسية يدافع عن أفكار صديقه «مور» فى تفسيراته الميتا أخلاقية، فكانت نظرية رسل عن الخيرية هنا عبارة عن نقد لفلسفة السلوك

(1) George F. Hourani: Ethical Value, The University of Michigan press, Ann Arbor, 1955, p.61.
(2) Ibid: p.62.
(3) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.17.
(4) Ibid: p. 17.
(5) Ibid: p. 17.

الإنسانى، أو إن شئت فقل الفلسفة الخلقية، فرسل هنا يدافع عن منطق التصورات الأخلاقية، حيث قام برفض التحليلات والتعريفات الطبيعية لمحمولات القيمة الأخلاقية، حتى لا يقع فى شباك المغالطة الطبيعية، وقد أدت به هذه النظرة إلى التخلى عن جعل الخيرية نتيجة نفعية تساوى أفكار السلوك والرضا، إلى غير ذلك من المفاهيم الدالة على السعادة فى مجال البحث الخلقى، فالتصورات الأخلاقية أو منطق النقد الخلقى للخيرية، لا يتشابه فى هذه الحالة مع أى النظريات الأخلاقية سواء كانت النفعية فى نتائجها أو الطبيعية فى رغباتها أو الإنفعالية فى عواطفها و إحساساتها.

وتأكيدًا لما سبق رفض رسل إدخال تعريفات السرور إلى الخيرية، أدى به أيضاً إلى رفض اعتماد الخيرية على الرغبة، فتراه يقول: «أن هناك رؤية معدلة تقول أن الخير يعنى شيئًا متشابهًا مع الرغبة desired فعندما نقول أن هذا الشىء خيرٌ، فإننا نعنى أنه شىءٌ مرغوبٌ فيه، ولذلك يكون الشىء «خيرًا» إذا أردنا اكتسابه أو خشينا فقدانه»[1].

وبما أنه يوجد هناك رغبات سيئة، فعندما يتحدث الناس عن الرغبات السيئة bad desires فإنهم يقصدون رغبات ما هو شر، فعلى سبيل المثال، عند رغبة شخص ما فى أن يؤلم شخصًا آخر، فإنه من الواضح فى هذه الحالة أنه لا يرغب فى الخير، بل يرغب فى السوء، ولكن المؤيدين لوجهة النظر التى تقول أن الخير هو ما نرغب فيه، سوف يقولون، أنه لا يوجد شىءٌ خيرٌ وسىءٌ فى وقت واحد، كما أن الشىء فى ذاته لا يمكن أن يكون على حالتين من الخير والسوء، فإن ما يمثل خيرًا لشخص ما، قد يمثل شرًا لشخص آخر[2].

يؤكد رسل أن تصور الخير والسوء فى النظرية الأخلاقية، ليس مفهومًا أو تصورًا شخصيًا حتى يتعلق بالرغبات الإنسانية النسبية، وذلك لكون الرغبات شخصية، أما الخير والسوء فإنه أعم وأشمل من معانى الرغبات (أعنى تصورات كلية)، كما أن مفاهيم الخير والسىء تعد مفاهيمًا أساسية فى بناء النظرية الأخلاقية، وذلك لكونهما مفاهيم غير شخصية، وبهذا المعنى يكون الشىء خيرا عندما يكون خيرا فى ذاته، ويكون خيرا فى وجوده، وليس خيرا باعتباره نتيجة يستمتع بها شخص ما فى الحياة[3].

(1) Ibid: p. 17,18.
(2) Ibid: p. 18.
(3) Ibid: p. 18.

كما أن واقع الحياة المعاشة يقرر أن الشيء إما أن يكون موجودا أو غير موجودٍ، ولا يوجد احتمال وسط بين الوجود والعدم، فحقيقة الرغبة عند شخص ما قد تكون شيءٌ بغيضٌ عند شخص آخر، وذلك يدلل على أن الخير محمولٌ يتعلق بالنظرية الأخلاقية، ومنطق التصورات الأخلاقية، وليس متعلقًا بالرغبات الشخصية[1].

وهنا نجد «ألفريد ايونج» يتفق مع كل من «رسل» و«مور» فى تقرير موضوعية التصورات الأخلاقية، فإن كان «ايونج» قد اختلف معهم فى التصور ذاته، فإنه يتفق معهم فى مبادىء وحيثيات التحليل والنقد الأخلاقى، فتراه يقول «لو أننا وضعنا فى اعتبارنا ما يمكن أن يحدث لو أن كل الحدود الأخلاقية قد أمكن الوصول إلى تعريفات لها، فعندئذ سترد هذه الحدود الأخلاقية إلى تصورات لا أخلاقية non- ethical ومن ثم تصبح الأخلاق مجرد فرع أو قسم من العلم الذى تنتمى إليه التصورات «اللا أخلاقية» التى عرفنا بها الحدود الأخلاقية الأساسية»[2].

ويستكمل «ايونج» تحليله للخيرية فيقول «إذا اعتبرنا الخير good الحد الأخلاقى الأساسى، وأننا قد عرفناه بقولنا أن الخير هو (ما يرغب فيه الإنسان) فستصبح دراسة الأخلاق عندئذ مجرد فرع من فروع علم النفس، طالما أن علم النفس هو العلم الذى يتولى دراسة وقائع واتجاهات الحياة العقلية التى تندرج تحت مصطلح الرغبة. وأما إذا عرفنا الخير بأنه هو ذلك الذى ينسجم مع عملية التطور الطبيعى فعندئذ تصبح دراسة الأخلاق جزءًا من علم الأحياء، وأما إذا عرفنا الخير بأنه هو ذلك الذى يؤدى إلى مجتمع مستقر، فإن دراسة الأخلاق ستصبح عندئذ جزءًا من علم الاجتماع»[3].

ولكن إذا كان كل من رسل ومور قد رأيا أن التصور الأخلاقى الأساسى هو «الخيرية» فإن «ايونج» يرى أن «الينبغية» هى التصور الأخلاقى للحدسية، لذلك تعد نظرية «ايونج» نظرية فى «الإلزام» أو هى «ذات طابع وجوبى» Deontological دون أن يؤدى هذا به إلى

(1) Ibid: p. 18.

(2) ألفريد ايونج: مقدمة فى فلسفة الأخلاق، ترجمة / محمد مدين، تقديم / توفيق الطويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص42.

(3) المرجع السابق: ص43.

إغفـال النتائج عند تقديم الفعل، لذلك كان «ايونج» وجوبيًا فى تعريفه للخيرية، ولكنه كان غائيًا teleological بقدر ما كان يضع فى اعتباره نتائج الأفعال عند الحكم عليها[1].

وهنا نجد رسـل يدافع عن استقلال الخيرية الأخلاقية عن الرغبات الشخصية المتقلبة من وقت إلى آخر، ومن شـخص إلى غيره، فيرى أن من الامور المهمة فى البحث الخلقى أن ندرك أن الـشيء يعد خيرا فى ذاتـه، حيث أن الكيفية التى نمتلكهـا أو لا نمتلكها عن هذا الشيء تكون بعيدة بشكل مستقل تمامًا عن آرائنا أو أمنياتنا أو أمنيات الأخرين[2].

يرى رسـل أن معظم الناس يميلون إلى الاتفاق مع رأى «هاملت» Hamlet «بأنه لا يوجد شيء خيراً وسيئًا، ولكن التفكير هو الذى يجعل الشيء كذلك» وبالتالى يفترض أن التفضيلات الأخلاقية هى عبارة مسـألة ذوق. فإذا كان «س» يعتقد أن شيئًا ما يعد «خيرا» و«ص» يعتقد أن نفس الشيء يعد سيئًا، فكل ما يمكن أن نقوله فى هذه الحالة «هو أن هذا الشيء يكون خيرًا لـ «س» وسـوءا لـ «ص»، وفى هـذه الحالة يكون أحدهم على خطأ، ولكن من المسـتحيل أن نكتشف أيهما يكون على صواب وأيهما على خطأ[3].

نستخلص مما سبق، أن المحمول «خير» فى النظرية الحدسية ينبغى أن ينظر له فى سياق المصطلح الأخلاقى «خير» good (أعنى خاصية بسـيطة لا تقبل التحليل أو التعريف) فيكون كالمترادفات الأخلاقيـة مـن قبيل «الواجـب» duty و«الإلـزام» obligation حيث ينبغـى أن ينظر له كهذه الكيفيات الحدسـية[4]. كما أن المحمول «خير» يجب أن يكون مسـاويًا فى معناه الإيجابى للمحمول «قيّم» valuable حيث أن كلمة «خير» كلمة إيجابية فى حد ذاتها حتى فى تناقضها مع كلمة «سيء» bad [5]، بالإضافة إلى ذلك تنطبق كلمة «الخير» على أى ظرف يعد بسـيطًا فى حد ذاته، فإذا كانت القيمة «س» على سـبيل المثال - أفضل من القيمـة « ص» فإن ذلك لا يغير من خيرية القيمة «ص»، أضف إلى ذلك أن كلمة «خير» تنطبق على أى شيء له قيمة إيجابية فى كل الحالات[6].

(1) المرجع السابق: تعليق المترجم، ص12.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p. 20.

(3) Ibid: p. 20.

(4) George F. Hourani: Ethical Value, op. cit, p.49.

(5) Ibid: p.51.

(6) Ibid: p. 51.

ولكن ...

إذا كان «مور» قد وقف بحدسيته الأخلاقية عند تصور الخيرية، فهل معنى هذا أن رسل لم يضف جديدا إلى النظرية الحدسية؟؟ و إذا كان «ايونج» قد ادخل مفهوم «الينبغية» إلى تصور الخيرية الأخلاقية؟؟ فما هى الصورة التى ظهرت عليها التصورات الأخلاقية؟؟ وما العلاقة بين الخير والصواب عند رسل؟؟

لقد حدد رسل الأفعال الأخلاقية، والأفعال غير الأخلاقية immoral actions قياسًا إلى معنى «الصواب» Right الذاتى، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن فهم و إدراك التصرفات الأخلاقية دون الرجوع أيضًا إلى الصواب الموضوعى، وما الذى اعتقده أنا فى نفسى عن هذا الصواب الموضوعى[1].

يرى رسل أن الأفكار المتعلقة بالسلوك الصواب Right conduct والسلوك الخطأ wrong هى تلك الأفكار نفسها التى تحظى باهتمام النظرية الأخلاقية بوجه عام، وهذا الرأى فيما يراه رسل- قد يبدو غير دقيقٍ، ولكنه يُعزز باستخدام كلمة واحدة هى المحمول «خير» good الذى يعد نوعًا sort من السلوك الصواب، وكذلك الأشياء التى ينبغى أن ought to توجد باعتبار من قيمتها الأصيلة intrinsic value وهذا الاستخدام المزدوج للحد «خير» يعد مربكًا، حيث يميل إلى أن يجعل المعنى الحقيقى لكلمة «الخير» غامضًا ومبهمًا obscure وعلاوة على ذلك فإنه ينبغى الحديث هنا عن الأفعال actions الصواب وليس عن الأفعال الخيرة[2].

إن رسل يرى أن هناك طريقتين مختلفتين للحكم على السلوك الأخلاقى، الطريقة الأولى: هى التى تبناها دعاة مذهب المنفعة العامة utilitarians ويكون الحكم فيها على صوابية rightness الفعل عن طريق نتائجه التى تتبدل فى العلاقة بين خيرية الفعل وسوءه، أما الطريقة الثانية: هل التى يدافع عنها الحدسيون، ويكون الحكم فيها على الفعل من خلال الحاسة الخلقية moral sense إما بالاستحسان approval أو الاستهجان disapproval ويعتقد رسل هنا أنه من الضرورى أن نوحد بين كل النظريات الأخلاقية حتى يمكننا الحصول على

(1) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.467.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p. 25.

مفهوم كليّ لمعنى الصواب والخطأ، حيث يعتقد رسل أن المعنى الأول للصواب هو «أن الرجل يفعل الفعل الصواب عندما يحقق له أفضل النتائج» (المنفعة)، أما المعنى الثانى هو «أن الرجل يفعل الصواب عندما يمليه عليه ضميره» conscience مهما كانت نتائجه المحتملة، وهناك الكثير من المعانى الأخرى التى نعطيها لكلمة «الصواب»، ولكن يبدو أن هذين المعنيين هما أكثر المعانى أهمية[1].

ولكن .. ما المقصود هنا بأوامر الحاسة الخلقية فى تصور رسل للصواب؟؟

يرى رسل أنه إذا كانت الإجابة تحمل معنى السلوك «الصواب»، فإننا لا نستطيع أن نقول أنها تتمثل فى الحكم على أن مثل هذه الأفعال هى «الصواب»، لأن ذلك يجعل مفهومنا عن «الصواب» مفهومًا دائريًا circular، ويمكننا أن نقول أن الحاسة الخلقية تتمثل فى عاطفة محددة ومؤكدة لاستحسان فعل ما، وهذا الفعل الذى يمكن أن يسمى «صوابًا»، وذلك عندما يشعر الشخص الذى يمارسه بمشاعر الاستحسان[2].

وهنا نجد فيلسوفنا يقع تحت سيطرة الرغبات والتى جاءت بمعنى «الاستحسان» و«الاستهجان» أى ارتبط الحكم الخلقى فى الحاسة الخلقية بمعنى العاطفة الشخصية أو الضمير والمشاعر، ومن ثم، فإن الرجل الذى ينقاد طواعية لأوامر ضميره، فإنه لا يأتى دائمًا الفعل «الصواب» بشكل موضوعى، فعندما يؤدى الرجل ما يوافق عليه أو ما يستحسنه ضميره، فإنه يفعل ما يعتقد أنه «صواب» بشكل موضوعى، لذلك فإننا نحتاج إلى معيار آخر أفضل من معيار الحاسة الخلقية للحكم على موضوعية الصواب[3].

إذا كانت رؤية رسل تحاول أن تصل إلى أعلى درجة من درجات الموضوعية فى فهم مضمون «الصواب» بعيدًا عن الضمائر النسبية بين الأشخاص، فإننا نجد هنا أن «ايونج» صاحب تصور «الينبغية» يرى محمول كلمة «الخير» يتناسق مع محمول كلمة «الصواب» أو «الواجب» كتناسق النوع مع الجنس، أما الاعتراض الذى قد يحدث هو أن هذه المفاهيم قد لا تكون متطابقة بالضرورة مع الاستعمال العادى للكلمات، فنحن نتحدث عن أشياءَ كثيرةٍ

(1) Ibid: pp. 25,26.
(2) Ibid: p. 26.
(3) Ibid: p. 27.

باعتبار أنها أشياء خيرة، ولكن ليس من الممكن أن تكون صوابًا، فعلى سبيل المثال، توصف الرواية أو المسرحية بأنها رواية خيرة بطبيعتها، ولكن ليس من الممكن أن تكون بالطبع رواية صواب، حيث أن كلمة الخير هنا وجدت لتشير إلى أن هذه الرواية قد دّونت بطريقة خيرة، فكلمة «خير» هنا لا تعنى صواب الحدث، وكذلك يمكن أن نقول أيضًا على سبيل المثال، أنه إذا كان المتقدم لمنصب ما شخص يوصف بأنه رجل خير تمامًا، ولكنه قد لا يكون الشخص المناسب لذلك المنصب، وعليها يكون من غير اللائق أخلاقيًا أن نعجب بوظيفة هذا الرجل، لذلك كانت هذه الأمثلة كافية لكى نقرر كما يقول «ايونج» أن محمول «الخير» لا يستخدم على حد سواء كنوع لمحمول «الصواب»[1].

وخلاصة القول.. إن محمول كلمة «الصواب» لا يمكن أن يطلق عليها مسمى «أنواع الخير» لأنه أحيانًا ربما لا يمثل شيئًا خيرًا فى موقف محتمل، وما يمكن أن يقال هنا أن محمول كلمة «صواب» تمثل أعلى نقطة ممكنة على مقياس مفاهيم «الخير» و«السىء»، ومن ذلك نستنتج أن كلمة «صواب» ينبغى أن تعالج فى سياق كلمة «خير»، وبنفس مضمون كلمة «سىء» bad، ولذلك تظهر كلمة صواب كمفهوم غامضٍ a dependent بمعنى أنه لا يمكن أن يُفهم إلا إذا فهمنا طبيعة المقياس الذى تقع عليه، فإذا فهمنا ماذا تعنى كلمة «الطول» length فإن ذلك يُحيلُنا لمعرفة أن ست وحدات تمثل فاصلاً قياسيًا لمقياس الطول[2].

(1) George F. Hourani: Ethical Value, op. cit, pp.52,53.

(2) Ibid: p. 55.

تعقيب عام

يبدأ التعقيب على النظرية الحدسية فى عدة نقاط، وذلك من خلال الرؤية الفكرية التى قدمها برتراند رسل فى فلسفته، وتكون النقاط كالتالى:

1. من خلال الصفحات السابقة يمكن القول أن النظرية الحدسية عند برتراند رسل لابد لها أن تدرس من خلال فكرة التأثير والتأثر، أو بالأحرى «فكرة تأصيل النظرية الحدسية» التى أرجعها معظم الباحثين إلى الفيلسوف الإنجليزى جورج إدوارد مور الذى رأوه صاحب الفضل الأول فى تمييز وخلق النظرية التصورية فى مجال البحث الخلقى، أو فى مجال التحليل الأخلاقى المسمى بمنهج النقد الميتا أخلاقى، ناسين فى ذلك ما قدمه فيلسوف المشاركة الوجدانية Sympathy الفيلسوف الإنجليزى «ديفيد هيوم» فى مجال النظرية الأخلاقية، حتى و إن كان رسل ذاته اعترف بقيمة «هيوم» فى مجال البحث الخلقى، وذلك عندما أشار «هيوم» إلى كون «الخيرية» كيفية بسيطة، وكذلك العواطف الطبيعية، ومن ثم فلا تتكون من أجزاء يمكن تعريفها بها أو ردّها إليه.

2. كما يمكن القول أيضًا أن رفض رسل للنظريات الطبيعية فى الأخلاق ومحاولة إثبات تهافتها، كان له أثره الواضح فى زعزعة الأسس النظرية لفلسفته الحدسية، بل محاولة رسل تهافت النظريات الطبيعية فى تلك الفترة التى كان مسايرا فيها «جورج مور» لدرجة جعلتهم يندرجون فى هذه الفترة تحت مسمى الفلاسفة اللاطبيعيين، وذلك على النقيض من الفلاسفة الطبيعيين أمثال «جون ديوى» و«رالف بارتون بيرى» و«كلارنس ارفنج لويس» ومن قبلهم كان «بنتام» و«جون ستيوارت مل» مستخدمًا رسل فى ذلك نفس الأدوات المنهجية التى استخدمها «مور» فى البرنكيبيا أمثال المغالطة الطبيعية التى عرفناها من قبل.

ومن جهة أخرى، يمكن القول أنه عندما كان الخير كيفية لا يمكن تعريفها أو تحليلها، فإن أية محاولة لتعريفها تعد «مغالطة» Fallacy فالمغالطة الطبيعية تشير هنا إلى خطأ استنباط قضايا أخلاقية من قضايا لا تنتمى إلى مجال النظرية الأخلاقية، ومن ثم لابد أن تستبعد شتى المقولات غير الأخلاقية من مجال البحث الخلقى، أضف إلى ذلك أن تكون النظرية الحدسية فى معزل منها عن الوقائع والميتافيزيقا، وعلى الرغم من ذلك اتهم هيوم صاحب منهج بساطة التعريف الأخلاقى بالوقوع فى المغالطة من قبل جورج مور.